www.facebook.com/ZaitonMagazine - zaiton.mag@gmail.com - www.zaitonmag.com
محلية اجتماعية ثقافية نصف شهرية مستقلة السنة الخامسة | 15 تشرين الثاني 2017

زيتون

العدد :167

روسيا.. ضامنة في أستانة وخصم مجرم في الأتارب

روسيا.. ضامنة في أستانة وخصم مجرم في الأتارب

65 شهيدا و100 جريح في سوق شعبي

في سوق شعبي آمن، وفي ظل ما يسمى هدنة، أو اتفاق لخفض التصعيد، كانت روسيا أحد الضامنين الثلاث له، وكانت مدينة الأتارب مشمولةً به على حدّ علم أهلها، وأثناء تسوّقهم ودون توقع منهم أو من سواهم، على حين غرة، انهالت الصواريخ الفراغية الروسية على سوقهم ومدينتهم، لتقتل من قتلت منهم، وتصيب من أصابت، وتدمر ما دمرت، وكل ذلك بتوقيع أحد الضامنين ورعاة الاتفاق.

في الساعة الثانية من بعد ظهر يوم الاثنين ١٣ تشرين الثاني، ارتكب الطيران الحربي الروسي مجزرة في مدينة الأتارب بريف حلب الغربي، راح ضحيتها عدد كبير من المدنيين بين شهداء وجرحى ومفقودين، إثر استهدافها بستة صواريخ شديدة الانفجار ضمن ثلاث غارات جوية.

وتركز القصف الجوي الروسي على سوق شعبي مكتظ بالمدنيين، بالإضافة إلى استهدافه بشكل مباشر لمبنى مركز الشرطة الحرة في الأتارب، بثلاثة صواريخ على كل منهما، ما أدى لتدمير المركز والسجن المدني التابع للشرطة، وحدوث دمار كبير بالممتلكات المدنية.

وأسفرت الغارات الجوية الروسية عن سقوط ٦٥ شهيداً موثقين بالاسم، بينهم نحو ٢٠ طفلاً، و ١٣ عنصراً من الشرطة الحرة، وأكثر من ١٠٠ جريح، بينهم أكثر من اثني عشر عنصراً من الشرطة الحرة، فضلاً عن سقوط ستة قتلى من السجناء.

كما شهدت الأحياء القريبة من السوق حالة نزوح للأهالي إلى خارج مدينة الأتارب، أو إلى أحياء أخرى ضمن المدينة، وذلك جراء تصدع منازلهم وتهدمها بشكل جزئي، وبث بعض الأهالي مشاهد تظهر الدمار الهائل الذي لحق بالمحال التجارية والمنازل المحيطة بالسوق.

وقال مراسل زيتون أنه أحصى ٦٠ جريحاً في مشفى باب الهوى بمفرده، ونتيجة العدد الكبير ناشد مشفى باب الهوى المشافي القريبة من الأتارب لمساندته في استقبال الجرحى، وتم نقل الجرحى إلى مشافي «الدانا، ودارة عزة، ومشفى عقربات» بالإضافة لمشفى الأتارب، ومشفى باب الهوى، والمشافي التركية.

ولليوم الثالث على التوالي ما يزال عناصر الدفاع المدني يواصلون عملهم في انتشال الشهداء من تحت الأنقاض، جراء الغارات الروسية التي استهدفت مدينة الأتارب، حيث تم انتشال ثلاث جثث من تحت الأنقاض صباح أمس الأربعاء، كما تم تعليق الدوام في مدارس المدينة ليومي الثلاثاء والأربعاء، وذلك تخوّفاً من استهداف المدينة مجدداً.

وخرج أهالي مدينة الأتارب أمس الثلاثاء، في مظاهرة تطالب الفصائل بالخروج من المدينة عند حاجز تابع لهيئة تحرير الشام، انسحب على إثرها عناصر الهيئة المتواجدين على الحاجز إلى الفوج ٤٦، وتزامنت المظاهرات مع انتشار صورة للقيادي في فيلق الشام سامي عبيد مصاباً في رأسه، كما انتشر مقطع صوتي لوالد سامي عبيد ينفي فيه أن تكون إصابة سامي قد حدثت أثناء مشاركته في المظاهرة، مؤكدا على أن إصابته جاءت أثناء خلاف منفصل جرى بين رفاق له، كما بُثت مشاهد مصورة يظهر فيها صوت إطلاق نار كثيف، يقول فيها المصور أن عناصر الهيئة تطلق النار على المدنيين المشاركين في المظاهرة.

كما أصدرت قيادة الشرطة الحرة في حلب بياناً، بالتضامن مع المجلس المحلي للمدينة ونيابة عن كل أهالي المدينة وذوي الشهداء والجرحى، طالبت فيه الأمم المتحدة بإدانة هذه الجريمة، وتحويلها إلى لجنة التحقيق الدولي الخاصة بالجرائم المرتكبة في سوريا، بالإضافة لمطالبتها لكافة المنظمات الحقوقية بالضغط على مجلس الأمن الدولي لإحالة الجريمة وملف الجرائم إلى محكمة الجنايات الدولية، ومحاسبة المتورطين بدماء الشعب السوري، بحسب البيان.

من جانبها رفضت وزارة الدفاع الأمريكية «البنتاغون» الكشف عن تسجيلات الرادار المتعلقة بالغارات الجوية التي استهدفت مدينة الأتارب.

وقال المتحدث باسم وزارة الدفاع الأمريكية لشؤون الشرق الأوسط «إريك باهون»: «لا نعرف من نفذ الغارات، ولا توجد لدينا معلومات بهذا الصدد، ومن ثم لا يمكننا الإشارة بأصابع الاتهام لروسيا أو النظام السوري»، مضيفاً: «ربما شاركنا من قبل تسجيلات الرادار المتعلقة بتحركات قوات أخرى، لكننا في هذه الحادثة لن نشارك تلك المعلومات».

وفي سياق متصل أدانت جهات عدة مجزرة السوق الشعبي بمدينة الأتارب، مطالبةً المجتمع الدولي بوقف إجرام روسيا والنظام السوري، بينما توعد الجيش السوري الموحد برد وصفه بـ «الموجع» على كافة الأصعدة ضد قوات النظام والميليشيات الإيرانية والقوات الروسية.

عنصر من الدفاع المدني أثناء انقاذه لأحد أطفال الأتارب في المجزرة - انترنت

بعد أن فرقهم كيماوي الأسد في خان شيخون.. الطفل رضا يجتمع مع أهله

لقاء الطفل رضا مع والده - الأناضول

نشر موقع الأنـاضـول قصة لطفل يدعى «رضا علي محمد» له من العمر عامان ونصف، والذي أحضر إلى تركيا وحيداً لتلقي العلاج بعد أن أصيب جراء هجوم بأسلحة كيميائية استهدف مدينة خان شيخون.

وأضاف الموقع أنه وبعد ستة أشهر من البحث المتواصل عن عائلة الطفل رضا عثر الهلال الأحمر التركي على عائلته التي تقيم في مدينة إدلب السورية، وتم تسليمهم طفلهم وسط مشهد اختلطت فيه الدموع بالفرح.

وكان الهجوم الكيميائي الذي شنته قـوات نظام الأسـد على مدينة خان شيخون في نيسان الماضي قد أسفر عن مقتل مئات السوريين في انقلاب حياة الطفل رضـا رأسـا على عقب بحسب الموقع.

وجـرى نقل الطفل رضـا من مدينة إدلـب إلـى المستشفى الوطني في ولايـة هاتي التركية بعد إصابته بالهجوم الكيميائي الـذي أدى إلى مقتل والدته.

وقالت إحدى موظفات الهلال الأحمر التركي لمراسل الأنـاضـول أن والد الطفل رضا لم يكن متواجداً أثناء الهجوم ومقتل زوجته، وجـرى نقل الطفل بمفرده بواسطة إحدى سيارات الإسعاف إلى الحدود السورية التركية حيث تـم نقله إلـى مشفى هاتي الوطني.

ولفتت الموظفة إلى أنه بعد العثور على والده قام الهلال الأحمر التركي ووزارة الأسرة والشؤون الاجتماعية بإجراء دراسة شاملة عن حالة والده والـمـكـان الـذي يقيم فـيـه، وتقرر تسليمه الطفل بعد التأكد من سلامة المنطقة التي يقيم فيها والده.

وأكدت الموظفة أن حالة الطفل رضا ليست الأولـى أو الأخيرة وأن هناك العديد من الأطفال الذين لم يتم العثور على عوائلهم ونحن نعمل على لم شمل الأسر التي تفرق أفرادها.

أكثر من ٩٠٪ من المعتقلين يتحولون إلى مختفين قسرا

قالت الشبكة السورية لحقوق الإنسان الإثنين الماضي ٢٩ تشرين الأول إن نحو ١٠٠ ألف سـوري معتقل داخل البلاد منذ بداية الأزمة في سوريا عام ٢٠١١، تحول أكثر من تسعين بالمئة منهم لمختفين قسراً.

ووثقت الشبكة في تقريرها ما لا يقل عن ١٠٦ آلف و ٧٢٧ معتقلاً منذ آذار ٢٠١١ وحتى شباط ٢٠١٧، تحول ٩٠،١٥٪ منهم إلى مختفين قسراً، مشيرة إلى أن النظام السوري مسؤول عن ٨٧٪ من حالات الاعتقال هذه.

وسجل اعتقال ما لا يقل عن ٥ آلاف منذ ٢٣ كانون الثاني ٢٠١٧، تاريخ بدء مفاوضات أستانة وحتى لحظة إعداد التقرير.

كما سجل التقرير مقتل ١٣ ألفا و١٠٤ أشخاص بسبب التعذيب منذ آذار ٢٠١١ وحتى أيلول ٢٠١٧، من بينهم ١٦٦ طفلاً و٥٧ سيدة، قتلت قوات النظام منهم ١٢ ألفا و٩٨٦ تحت التعذيب.

وطـالـبـت الشبكة الأمـم المتحدة والأطراف الضامنة لمحادثات أستانة، بضرورة تشكيل لجنة خاصة حيادية لمراقبة حـالات الإخـفـاء القسري، والتقدم في عملية الكشف عن مصير ٨٦ ألف مفقود في سوريا ٩٠٪ منهم لدى النظام السوري.

وانطلق في وقت سابق في العاصمة الكازخية أستانة مؤتمر أستانة ٧ باجتماعات الدول الضامنة، فشلت في الوصول إلى حل لملف المعتقلين لدى النظام.

شح المياه في محافظة إدلب - زيتون

مياه إدلب تمنح سراقب قيمة ضخة واحدة شريطة تسديده

حالهم كحال معظم أهالي الريف الإدلبي، الذين لا يحصلون على مياه الضخ إلا عند توفر التيار الكهربائي الضعيف والمتقطع باستمرار، إذ لا يحصل أهالي مدينة سراقب على الضخ إلا في حال توفر الكهرباء، ويغيب الضخ بالاعتماد على الديزل بشكل شبه تـام، مما يضطرهم للجوء إلى الصهاريج الخاصة لتأمين حاجتهم من المياه.

مـديـر وحـدة الـمـيـاه فـي مدينة سراقب «عبد الكريم إسماعيل» قـال لزيتون: «وضـع المياه في مـديـنـة سـراقـب خـلال الأشـهـر الخمسة السابقة كان مقبولاً نوعاً ما، فعند توفر التيار الكهربائي يتم الضخ بشكل مستمر، ويتم تلبية حاجة المدينة، ولكن في الفترة الأخيرة أصبح التيار الكهربائي ضعيف جـداً واستطاعته قليلة، وبسبب ذلك أصبحت عملية الضخ تتأخر، وفـي حـال حدوثها تكون ضعيفة ومتقطعة نتيجة التقطعات المستمرة للتيار».

وأضاف «الإسماعيل»: «يتم الضخ بالاعتماد على التيار الكهربائي، ولهذا السبب يعاني ما يعانيه من ضعف وتقطع وتأخير، بينما في حال الاعتماد على الديزل يكون الضخ قوياً ومتواصلاً ومنتظماً، وتكون عملية الضخ ناجحة، إلا أن العائق الأساسي أمام نجاح عملية الضخ وعلى المدى الطويل، هو ضعف الإمكانيات المادية للوحدة، فتكلفة الضخ العالية، وامتناع الأهالي عن الجباية، وعدم وجود أي منظمات داعمة لقطاع المياه في مدينة سراقب، يزيد الوضع سوءاً».

بينما قيّم «محمد الأحمد» من أهالي مدينة سراقب وضع المياه فـي الـمـديـنـة بـالـسـيء، بسبب نـدرة الضخ عند انقطاع التيار الكهربائي، وكثرة الأعطال في شبكة المياه ضمن الحي الـذي يسكنه، ووجـود تقصير في عمل وحدة المياه، نتيجةً لقلة إمكانياتها، متأملاً أن يتحسن وضع المياه في المدينة قريباً.

واقترح «الأحمد» أن يكون للشرطة الحرة دور في عملية الجباية، وأن يتم محاسبة كل شخص يمتنع عن دفع رسم الجباية.

وقامت وحـدة مياه سراقب خلال الشهر الجاري، بضخة وجـزء من الضخة، إذ تمت الضخة الأولـى بالاعتماد على التيار الكهربائي بنجاح، فـي حين انقطع التيار أثناء الضخة الثانية، فتم تنفيذ جـزء من الضخة بالاعتماد على الديزل، دون إتمامها، وفقاً لمدير وحدة مياه سراقب، والذي أكد أن جميع المحطات في المدينة داخل الخدمة، ولا تعاني من أية أعطال، ويعود ذلك إلى الصيانة الدائمة للمحطات بعد كل تشغيل لها.

ورأى مدير وحدة مياه سراقب أن تبعية الوحدة مؤخراً لشركة المياه فـي مدينة إدلـب، كانت خطوة موفقة، وأن هذه الخطوة أنقذت مدينة سراقب من العطش، والسبب أن شركة المياه بمدينة إدلب قامت بمنح الوحدة مبالغ مالية للضخ، على أن يتم استردادها من عائدات الجباية فـي المدينة، مبيناً أن الوحدة تعمل حالياً على وضع خطة للجباية، وهي الآن في مرحلة وضع قاعدة البيانات لكافة المستفيدين في المدينة، وسيتم تفعيلها عبر إرسال الجباة إلى المنازل لتحصيل مبلغ الجباية.

من جانبه اعتبر «محمد عليان» من أهالي مدينة سراقب أن وضع المياه في المدينة مقبول، وأن هناك بعض التقصير من قبل الوحدة، وأنـه يجب تفعيل عملية الجباية ولو بالقوة، من أجل تحسين وضع المياه، موضحاً أن المياه تصله ثـلاث مـرات شهرياً، لكنها غير كافية، ولذلك يضطر لشراء المياه من الصهاريج.

على مدى 6 أشهر.. وضع أمني غير مستقر في مدينة إدلب

خاص زيتون

شهدت مدينة إدلب مساء يوم ٩ تشرين الأول الماضي، جريمة قتل تعرض لها الصائغ "أيمن قوصرة" صاحب أحد محلات سوق الصاغة بمدينة إدلب مع اثنين من أبنائه، وأصيب الثالث بجراح خطرة، بعد سرقة ٥ كيلوغرام من الذهب ومبلغ ١٠ آلاف دولار أمريكي من محلهم.

وخرجت مظاهرة غاضبة أثناء تشييع الصائغ وأولاده، طالب فيها أهالي المدينة بإسقاط اللجنة الأمنية التابعة لهيئة تحرير الشام والمسؤولة عن أمن المدينة، ونددوا بلثام العناصر التابعين لها، وحملوا الهيئة المسؤولية كاملة عن الوضع الأمني في المدينة، كما قام أهالي المدينة بحملة إضراب، احتجاجاً على الفلتان الأمني الذي يسود المدينة، وشمل الإضراب منطقة سوق الصاغة، التي ارتُكبت فيها الجريمة.

وفي ٩ تشرين الثاني، أصدرت اللجنة الأمنية في قلعة المضيق ، بياناً حول ملابسات إلقاء القبض على المتورطين بحادثة قتل الصائغ "أيمن قوصرة" وأولاده في مدينة إدلب.

ومرت مدينة إدلب خلال الأشهر الخمسة الماضية، بحالة من عدم الاستقرار في الأوضاع الأمنية فيها، حيث شهدت العديد من حوادث التفجير أواخر شهر أيار، واستمر سوء الوضع الأمني في المدينة إلى ما بعد سيطرة هيئة تحرير الشام على المدينة في أواخر شهر تموز، ليشهد بعدها تحسناً بسيطاً لم يعتبر الأهالي أنه يُذكر، إذ انخفضت الحوادث الأمنية كالتفجيرات والعبوات الناسفة، إلا أن حوادث السرقة لا سيما على أطراف المدينة لم تتغيّر، فضلاً عن أن طيران الاستطلاع التابع لقوات التحالف الدولي لم يعد يغادر أجواءها، بالإضافة إلى حملة القصف التي تعرضت لها مدينة إدلب ومعظم مدن وبلدات المحافظة أواخر شهر أيلول الماضي، مما سبّب تدهوراً في الوضع الأمني في المدينة، وجعل أهلها في حالة تخوّف وترقب للمجهول.

حي الضبيط في مدينة إدلب - زيتون

كما شهدت مدينة إدلب في الشهرين الأخيرين عدة حوادث اغتيال لقيادات من هيئة تحرير الشام، وارتفاع حوادث سرقة الدراجات النارية.

«باسم محمود» من أهالي مدينة إدلب قال لزيتون: «مرت مدينة إدلب خلال الأشهر الخمسة الماضية بأوضاع أمنية صعبة بشكل عام، ففي شهر رمضان مثلاً شهدت مدينة إدلب تفجيرات وعبوات ناسفة بشكل كبير، وانخفضت نسبة هذه الحوادث نوعاً ما بعد سيطرة هيئة تحرير الشام على المدينة، باستثناء عملية تفجير استهدفت عناصر تابعين للهيئة في اليوم الأول من سيطرتها على المدينة، راح ضحيتها عدد من المدنيين وعدد من عناصر الهيئة».

وقال «علي الأحمد» من أهالي مدينة إدلب لزيتون:

«بعد سيطرة الهيئة على مدينة إدلب، استقر الوضع الأمني نوعاً ما، وخاصة من ناحية عمليات التفجير التي كانت تحدث قبل ذلك، وعملت القوة التنفيذية على توزيع عناصر الحرس ليلاً في أسواق وشوارع المدينة، لمنع عمليات السرقة، ونشر الحواجز على أطراف المدينة، وتفتيش السيارات الداخلة لها لمنع دخول السيارات المفخخة».

ورأى «كامل المحمد» من أهالي المدينة أن مدينة إدلب ما لبثت أن شهدت بعض الاستقرار، وتحسن الوضع الأمني فيها، حتى عاد للتدهور ثانيةً، وذلك بسبب حملة القصف التي شنها الطيران الحربي عليها في أواخر شهر أيلول، والتي استهدفت خلالها أطراف مدينة إدلب وأحيائها بأكثر من ١٥ غارة، راح ضحيتها شهيد وعدة إصابات، بالإضافة لدمار واسع في ممتلكات المدنيين.

وقال «نائل الخالد» من أهالي مدينة إدلب لزيتون:

«بعد توقف حملة القصف، لم تشهد المدينة استقراراً أمنياً أبداً، بل على العكس من ذلك، بدأت عمليات الاغتيال والتشليح في المدينة، فقد تم اغتيال أحد قياديي الهيئة في شارع الثلاثين من قبل ملثمين يستقلون دراجة نارية، كما تم قتل ٣ مدنيين من آل قوصرة».

وأضاف الخالد:

«وخرجنا نحن أهالي المدينة في اليوم التالي للحادثة، بمظاهرة نطالب فيها القوة الأمنية بتحسين الواقع الأمني في المدينة، كما حدث إضراب في محلات المدينة آنذاك».

من جانبه اعتبر «أيهم الأكرم» من أهالي مدينة إدلب أن المدينة مرت خلال الشهور الماضية بعدة حوادث أخلت بأمنها، وعانت كثيراً من التفجيرات والقصف وحوادث السرقة والاغتيال، وذلك رغم الجهود التي تبذلها القوة الأمنية في المدينة لحفظ أمنها وسلامة أهلها، والتي لا يمكن إنكارها، متمنياً من القوة الأمنية زيادة إجراءاتها الأمنية لمنع وقوع أي حادثة أخرى.

الشرطة الحرة: دعم الأهالي شرط أساسي لضبط الأمن

رئيس قسم شرطة سراقب الحرة «عواد الزكريا» قال لزيتون: «الوضع الأمني في مدينة سراقب لم يتغير أو يتأثر، وتعتبر مدينة سراقب آمنة نسبياً، بخلاف القرى المجاورة التي لم يستطع قسم شرطة سراقب تغطيتها بعددها الكبير وكادره الصغير، ولا سيما أنه بالإضافة لمدينة سراقب والـ ٢٧ قرية وبلدة التابعة لها، والكم الكبير من النازحين الذين وفدوا إلى هذه المناطق زاد من عدد السكان بشكل كبير، وبالتالي زاد العبء على القسم، وضمن هذه الظروف فإن قسم شرطة سراقب غير قادر على ضبط الوضع الأمني خارج مدينة سراقب».

وكان «الزكريا» قد أكد في تصريح سابق لزيتون أنه سيتم زيادة عدد العناصر في قسم شرطة سراقب الحرة، وذلك بناءاً على الوعود التي تلقاها القسم من قبل قيادة الشرطة بزيادة العدد.

ووفقاً لإحصائيات قسم شرطة سراقب الحرة، بلغ عدد الضبوط المسجلة خلال شهر تشرين الأول الماضي، ٥٣ ضبطاً تنوعت بين جرائم سرقة ومشاجرات وحوادث سير، ونظم القسم ٤٠ ضبطاً خلال شهر أيلول الماضي، لم يكن بينها أي حالة خطف أو قتل، وخلال شهر آب الماضي، تم تنظيم نحو ٤٥ ضبطاً، من بينها ٧ ضبوط سرقات، وحالتي قتل الأولى لطفلة بطريق الخطأ، والثانية لشاب أثناء مشاجرة حدثت في المدينة، أما في شهر تموز الماضي، فقد تم تسجيل ٣٠ ضبطاً في قسم شرطة سراقب الحرة، تنوعت ما بين حوادث ومشاجرات، إلى جانب العديد من المصالحات بين الأهالي، ولم تسجل أي حالة خطف في المدينة خلال هذه الفترة.

وكانت إحصائية لمركز شرطة سراقب قد أكدت في حزيران الماضي، أن حالات الخطف والجريمة قد انخفضت إلى نسبة ٨٠٪ ضمن المدينة، إضافة إلى انخفاض السرقات والحوادث المرورية، وتراوح عدد الضبوط خلاله ما بين ٣٠ إلى ٣٥ ضبطاً، إلى جانب العديد من المصالحات بين الأهالي، بينما تم تنظيم أكثر من ٤٠ ضبطاً، والعديد من المصالحات الخطية بدون ضبوط، في أيار الماضي.

وعن الإجراءات الضرورية لتحسين الوضع الأمني في مدينة سراقب وريفها قال «الزكريا»: «من الواجب على الأهالي في سراقب سواء أكانوا عسكريين أم مدنيين، أن يتعاونوا مع قسم شرطة سراقب، وسيتم وضع خطة عمل لكافة المدن والبلدات التابعة لمدينة سراقب، بحيث يتم نشر حواجز على الطرقات ومداخل القرى والبلدات، وتحديد تردد خاص لعناصر الحواجز، وإذا لم يتم التعاون ومشاركة الأهالي لنا، فلن نستطيع وحدنا كقسم شرطة ضبط الوضع الأمني».

كما قام قسم شرطة سراقب الحرة مؤخراً بتخصيص دوريات لحماية أمن المدارس، في خطوة لاقت ترحيباً من الأهالي، الذين رأوا أنها خطوة موفقة تصب في مصلحة المدينة وأهلها ولا سيما الأطفال، وأنها أفضل خطوة قام بها المركز.

«عبد القادر قصاص» من أهالي مدينة سراقب قال لزيتون: «الوضع الأمني في المدينة سيء منذ أكثر من عشرة أشهر وحتى اليوم، بسبب الفلتان الأمني في المدينة، وانتشار السرقات وحوادث المرور، وللأسف ما نراه اليوم من فشل في عمل جهاز الشرطة الحرة في المدينة، لا يعود سببه إلى الجهاز ذاته، بل بسبب إحجام الأهالي عن المساهمة والمشاركة بالمسؤولية مع عناصر الشرطة».

أحد عناصر شرطة المرور يساعد طفلا في عبور الشارع - زيتون

بينما قال «مصطفى القعدوني» من أهالي المدينة لزيتون: «الوضع الأمني غير مقبول بشكل عام، ويصل إلى حد الفوضى الأمنية، فلا رقيب ولا حسيب، ورغم ما تقوم به الشرطة الحرة من تسيير للدوريات، إلا أنها في الحقيقة غير قادرة على ضبط الوضع».

استمرار استياء أهالي معرة النعمان رغم جهود وحدة الكهرباء

حصلت مدينة معرة النعمان على خط كهرباء إنساني للمرافق العامة في كانون الثاني من العام الجاري ٢٠١٧، بغية تخفيف العبء عن استخدام المولدات الخاصة، وخفض سعر الأمبير ورفع مدة ساعات التشغيل، وذلك بعد اتفاق بين المجلس المحلي للمدينة والجهات المسؤولة عن قطاع الكهرباء، وفي حزيران الماضي، قامت ورش الصيانة في مكتب الكهرباء بإصلاح محطة تحويل بسيدا، وتغذيتها عن طريق محطة تحويل «الشريعة/حماة»، وأعلن المجلس حينها، عن تغذية كافة المولدات الخاصة في المدينة بالكهرباء النظامية، بعد الاتفاق مع أصحابها وتوقيع العقود المطلوبة، وأن المجلس المحلي سيكون المسؤول الكامل عن إدارة المولدات، بينما يتولى مكتب الكهرباء تحويل وتوصيل المولدات إلى الخزانات الرئيسية وإصلاح خطوط التغذية الأرضية.

عمر السلوم

وكانت الإدارة العامة للخدمات قد أعلنت بتاريخ ٢ حزيران الجاري، عن تفعيل المحطة الرئيسية في المدينة، في بيان نُشر عبر الصفحة الرئيسية على موقع تيلغرام، وقالت الإدارة فيه إنها ستعمل على توصيل الكهرباء لكافة المنازل بالإضافة إلى زيادة عدد ساعات التشغيل.

وبدأ مشروع تغذية شبكات المولدات الخاصة بالتيار النظامي بشكل فعلي في مدينة معرة النعمان، في السادس من تموز الماضي، وكان من المتوقع أن تكون بداية لمرحلة جديدة ينعم فيها أهالي المدينة بكهرباء نظامية وساعات إضافية تبلغ ٦ ساعات كحد أدنى، وبسعر مرضٍ للجميع يبلغ ٢٠٠٠ ليرةً سورية شهرياً للأمبير الواحد، إلا أن وضع الكهرباء النظامية، وقلة إمكانيات المجلس المحلي، وكثرة الأعطال في الشبكات، ونقص المعدات اللازمة لدى وحدة الكهرباء لإعادة تأهيل وصيانة مراكز التحويل الموجودة في المدينة، والبالغ عددها ٦٠ مركز تحويل ٢٠ (ك ف أ)، حالت دون تحقيق الهدف من المشروع كما كان مخططاً له.

وقامت وحدة كهرباء المعرة بإصلاح ٤٠ محول رئيسي منها، وهي كافية لتخديم كافة الأحياء وفق المشروع الجديد، الذي تم بالتعاون مع أصحاب المولدات الخاصة، كما قامت الوحدة بتوصيل الكهرباء إلى ٣٠ مولدة من أصل ٣٤ مولدة رئيسية متنوعة، تتراوح قدرتها الخدمية ما بين ٤٠٠ إلى ٨٠٠ أمبير، بغية تحسين وضع الكهرباء في المدينة، غير أن حالة تململ وغضب ظهرت لدى أهالي مدينة معرة النعمان من ارتفاع سعر الأمبير في المدينة، وطالبوا بإنشاء محاكم لمحاسبة أصحاب المولدات الخاصة، قابلها شكوى من القائمين على أمور المدينة بعدم التزام أصحاب المولدات بتسعيرة المجلس المحلي، موضحين محاولات مديرية الكهرباء والقائمين على القطاع في المدينة، لتغذية المدينة بخطوط إضافية، وتفعيل مكتب شكاوي في المدينة.

قطاع الكهرباء في مدينة معرة النعمان مر بفترات صعبة خلال الأشهر الأخيرة، وذلك بسبب الانقطاع المستمر للكهرباء النظامية، وزيادة أسعار الامبيرات،

وفي تصريح سابق لزيتون قال رئيس المجلس المحلي في مدينة معرة النعمان "بلال ذكرة": "وضع الكهرباء الحالي متذبذب وغير مستقر، والسبب هو التقطع المستمر في الكهرباء من المصدر، وعدم انتظامها وفق ساعات محددة، إضافةً إلى محدودية الإمكانيات، ووضع الشبكات المهترئة بسبب القصف والسرقة، وعدم وصول الكهرباء إليها منذ زمن، وحاجتها إلى الصيانة والحفريات بشكل دائم، مما جعل الاعتماد على شبكات المولدات الخاصة الخيار الوحيد المتوفر حالياً لإيصال الكهرباء إلى الأهالي".

وتحدث مدير وحدة الكهرباء في مدينة معرة النعمان «سعيد الظاهر» لزيتون عن وضع الكهرباء في المدينة حالياً وعن محاولات الوحدة لتحسين وضع الكهرباء قائلاً: «وضع الكهرباء جيد، ولا سيما بعد عودة التيار الكهربائي النظامي إلى المدينة، ويصل عدد ساعات التشغيل إلى ٨ ساعات ونصف، منها ٧ ساعات تشغيل على الكهرباء النظامية، وساعة ونصف ليلاً تتم تغذية المنازل فيها عن طريق المولدات».

وأضاف «الظاهر»: «الشبكة النظامية غير جاهزة لاستجرار الكهرباء النظامية، ولذلك يتم تغذية المدينة عبر شبكة الأمبيرات، ولدينا شبكة متوسطة ٢٠ ك.ف.أ، ويتم التشغيل عبرها لإيصال الكهرباء إلى مراكز التحويل، كما تم إنشاء شبكة متوسطة إضافية ٢٠ ك.ف.أ، في الطرف الشرقي على طول المدينة من شمالها إلى جنوبها، وذلك لتحسين واقع الشبكة، وحتى نستطيع أن ندخل الخزانات من عدة مصادر ومن عدة جهات، ولتلافي تأثير أي عطل قد يحصل».

ويقوم العاملون في وحدة الكهرباء في مدينة معرة النعمان بجهود كبيرة لإجراء وصيانة شبكة المدينة، ولكن القصف المتكرر كان سبباً في تقطيع الشبكة الأرضية، والتي تحتاج لإصلاحات كثيرة، ولكن وحدة كهرباء المعرة تعمل على إصلاح الكابلات والخطوط بشكل كامل كي تكون خطوطاً احتياطية، بحسب مدير وحدة الكهرباء في مدينة معرة النعمان، والذي أكد أنه لا يوجد أي دعم من قبل أي جهة لقطاع الكهرباء في المعرة، وأن هناك تنسيق بين المجلس المحلي للمدينة ووحدة الكهرباء فيها.

وأوضح «الظاهر» أن قطاع الكهرباء في مدينة معرة النعمان مر بفترات صعبة خلال الأشهر الأخيرة، وذلك بسبب الانقطاع المستمر للكهرباء النظامية، وزيادة أسعار الامبيرات، مضيفاً: «اشتكى العديد من أهالي المدينة من ارتفاع إضافي في سعر الأمبير، ولكن لا يوجد قوة تنفيذية في المدينة تلزم أصحاب المولدات بأسعار محددة».

«خالد السعيد» أحد النازحين إلى مدينة معرة النعمان قال لزيتون: «وضع الكهرباء في المدينة سيء، بسبب ارتفاع سعر الأمبير، ويجب تشكيل لجنة قضائية ضمن المجلس المحلي، تكون مختصة بالخدمات الأساسية كالماء والكهرباء، اللتين يتحكم بهما أصحاب المولدات الخاصة وأصحاب الصهاريج».

وقال «أسعد الجميان» من أهالي المدينة: «٤ آلاف ليرة سورية شهرياً سعر الأمبير وللإضاءة فقط، الأهالي يعانون والمسؤولون لا يبالون، والمخالفون يمرحون، بلا حسيب ولا رقيب».

كيف كانت خدمة الكهرباء في بنش خلال الأشهر الستة الماضية؟

في الرابع من تموز الماضي، وبعد وصول التوتر النظامي للمدينة بيومين، أعلن قسم كهرباء مدينة بنش، عن تغذية منازل المدينة بالكهرباء في أوقات مختلفة عن فترة تشغيل المولدات الخاصة، وبعد شهر وبالتحديد في ٣ آب الماضي، تم تجديد الاتفاق بين قسم كهرباء بنش ومديرية الكهرباء في إدلب، لمدة ثلاث أشهر ونصف، وحدد الاتفاق عدد ساعات التشغيل بـ ٦ ساعات يومياً كحد أدنى، وسعر الأمبير بـ ٢٠٠٠ ليرة سورية شهرياً، بعد أن كان ٢٥٠٠ ليرة سورية، سواء أكان التشغيل على التيار الكهربائي، أم على الديزل مع تخفيض عدد ساعات التشغيل على الديزل من ٣ ساعات إلى ساعتين ونصف.

إلا أن بعض الأهالي اقترحوا أن يتم الرجوع للاتفاق السابق من حيث عدد ساعات التشغيل وسعر الأمبير، على الرغم من رضاهم التام عن وضع الكهرباء في حالة توفر التيار، وتلبية لمطالب الأهالي عاد قسم كهرباء بنش للعمل وفق البرنامج القديم، ليعود الأهالي لمطالبة أصحاب المولدات بتخفيض سعر الأمبير أو رفع ساعات التشغيل، وذلك بعد انخفاض سعر الديزل، وبعد أن قام النظام بقطع التيار الكهربائي عن الشمال السوري المحرر، بالإضافة إلى تقطع في خطوط التوتر الناقلة، والذي تزامن مع معارك هيئة تحرير الشام في ريف حماة الشمالي بتاريخ ١٩ أيلول الماضي.

وكانت أكبر مشكلة واجهها قسم كهرباء بنش طيلة فترة عمله هي عطب الشبكات التي تسبب بها الطيران، واستهداف المحطات ومراكز التحويل وهي ما يعتبر ترميمه أمر مكلف جدا مع ندرة قطع التبديل الخاصة بهذه المحطات، بالإضافة إلى أنه بدون هذه المراكز لا يمكن تحويل الكهرباء للمستفيد، فضلاً عن انقطاع التيار الكهربائي المتكرر.

وكان أحد مراكز التحويل في المدينة، وهو مركز الحي الجنوبي، قد تعرض في وقت سابق لغارة من الطيران المروحي، أدت إلى خروجه عن الخدمة، إلا أن قسم كهرباء بنش سارع إلى إصلاحه وإعادته للخدمة، لأنه كان حينها يمتلك قطع تبديل له، وفقاً لمدير قسم كهرباء بنش.

«أحمد العموري» أحد أصحاب المولدات الخاصة في مدينة بنش قال لزيتون: «وضع الكهرباء في مدينة بنش جيد ولا سيما في الأوقات التي يتوفر فيها التيار الكهربائي، إذ أن ٦ ساعات تشغيل للتيار الكهربائي كفيلة بإرضاء القسم الأكبر من الأهالي وتفي بحاجتهم، أما عند انقطاعه فنقوم بتشغيل ٣ ساعات ونصف، وذلك بعد أن هبط سعر الديزل، فقمنا بزيادة نصف ساعة على مدة التشغيل، وبنفس السعر السابق دون تغيير، أي ٢٥٠٠ ليرة سورية للأمبير الواحد».

«حمزة خورشيد» من أهالي مدينة بنش قال لزيتون: «وضع الكهرباء في وقت توفر التيار الكهربائي ممتاز، ولا سيما عند تحويل التيار للمياه والتشغيل على الديزل، الأمر الذي يسمح بوصول المياه لكافة المنازل، بينما يسوء وضع الكهرباء عند غياب الكهرباء النظامية

المراكز النسائية في إدلب، وجود حقيقي أم مجرد صورة

في طاحونة الحرب تضيع الكثير من الحيوات والحقوق، وتكون الفئات المستضعفة أولى ضحاياها، وتأتي النساء في مقدمة تلك الفئات المغلوبة على أمرها، ومن أكثرهن انتهاكاً وتعدياً عليهن، لكن وبعد سنوات طويلة من الظلم، لا يلبثن أن يجتمعن ليؤمّن بعض الحماية لهن، تبلورت تجمعاتهن بأشكال مختلفة، لكن بهدف واحد، المطالبة بحقوقهن وممارستها، تتناول زيتون ثلاث تجمعات كنماذج لما تم انجازه على يد المرأة السورية في محافظة إدلب.

رابطة المرأة المتعلمة في إدلب: ثقافة الحرب غيبت دور المرأة

محمد المحمود

نتيجةً لتراجع دور المرأة في المجتمع السوري بشكل عام، وفي محافظة إدلب بشكل خاص، جراء الحرب، والانتهاكات التي طالتها، اجتمعت بعض النساء الناشطات من مدينة إدلب ومدن المحافظة، في أواخر عام ٢٠١٥، بعد تحريرها، لمناقشة الوضع الطارئ للمرأة في المحافظة، وتراجع دورها ومعاناتها، وشكلن رابطة نسائية، تعنى بتمكين المرأة والرقي بها لتكون قادرة على تحمل الصعاب، وتم خلال الاجتماع اختيار مديرة للرابطة، وتوزيع المهام على بقية الأعضاء حسب دراسة وميول كل منهن.

«نرمين خليفة» مديرة رابطة المرأة المتعلمة قالت لزيتون: «للرابطة نظام داخلي ونظام مالي وهيكلية إدارية واضحة، مقرها مدينة إدلب، والهدف منها تمكين المرأة بكافة المجالات التعليمية والمهنية والثقافية، عن طريق إقامة دورات تدريبية تلتحق بها النساء الراغبات».

وأضافت «خليفة»: «تعمل الرابطة على متابعة النساء والأطفال في مراكز الإيواء بمدينة إدلب، وتقديم أنشطة دعم نفسي بشكل دوري لكل مركز على حدى، وإطلاق حملات للتوعية الصحية والاجتماعية وغيرها، بالإضافة لأنشطة عديدة للأطفال الأيتام».

وتفتقد الرابطة إلى وجود تمويل أو دعم أساسي لها، وتعمل بشكل تطوعي، باستثناء تمويل بعض المشاريع التي تم تنفيذها، منها مشروع إقامة دورات تدريبية للنساء في مجال الإسعاف والإعلام والحاسوب، ومشروع أنشطة وتوعية للنازحين في مراكز الإيواء، النساء منهم والأطفال، ومشروع معرض للأعمال اليدوية وإعادة التدوير.

وترى مديرة الرابطة أن الدافع الأساسي لتشكيل الرابطة يكمن في أن «المرأة في مدينة إدلب مغيبة تماماً في بعض المجالات، ولا تحصل على كافة حقوقها، وذلك بسبب انتشار ثقافة الحرب، وتلاشي الحقوق الأساسية للأهالي بشكل عام، وهو أبرز أسباب تراجع حقوق المرأة بالإضافة إلى تراجع العملية التعليمية بشكل ملحوظ، نتيجةً لما تسببت به الحرب من دمار للمدارس ونزوح للأهالي وهجرة للكوادر التعليمية، وهو ما أدى بدوره إلى قلة الوعي، وانشغال الأهالي بتأمين الحاجات الأساسية، وانصرافهم عن بعض الأمور التي تعتبر بنظرهم في ظل الحرب غير أساسية، ومنها حقوق المرأة».

وترى «خليفة» أن أبرز الحلول لمشكلة غياب حقوق المرأة في مدينة إدلب، هي النقاش والتوجيه والاهتمام بالعملية التعليمية بشكل أكبر والعمل على تحسينها، والذي من شأنه أن يساعد على نشر الوعي، ورفع المستوى الثقافي للأهالي بكافة فئاتهم، ويبرز مخاطر انتهاك حقوقها على المجتمع بأسره.

في حين رأى «مهند الأحمد» من أهالي مدينة إدلب، أن المرأة حاصلة على مكانتها وحقوقها بشكل جيد في المجتمع، مضيفاً: «يوجد في مدينة إدلب تجمعات نسائية، لها دور فعال، تجلى ذلك الدور في مشاريع التوعية، والدورات التدريبية، ومشاريع الترفيه للأطفال الأيتام».

كذلك اعتبر «فريد العبد» من أهالي المدينة أن معظم حقوق المرأة كالتعليم والعمل وغيرها مؤمنة في مدينة إدلب، بينما هناك بعض الحقوق غيبتها الحرب كالانتخاب، وأن المرأة أهم مكوّن في المجتمع، إذ تلعب دوراً كبيراً في تربية الأجيال التي ستبني المجتمع في المستقبل، ولذلك لا يجب أن تعمل المرأة، وإنما يجب أن تولي اهتمامها وتكرس طاقاتها لتربية أبنائها، على حد قوله.

من جانبها قالت الناشطة في شؤون المرأة «غادة باكير» لزيتون: «قبل الثورة كان هناك بعض الحقوق المهدورة للمرأة في سوريا، كحقها في التعليم الذي تسببت العادات والتقاليد في بعض المناطق السورية بحرمانها منه، أما الآن فللأسف فقدت المرأة الكثير من حقوقها بسبب الحالة الأمنية، فهناك الكثير من النساء حرمن من حقهن في التعليم بسبب عدم قدرتهن على الذهاب لمناطق النظام لمتابعة تعليمهن، وزاد الوضع سوءاً مع عدم وجود اعتراف بشهادات الجامعات الموجودة في المناطق المحررة، كما عادت مجدداً ظاهرة الزواج المبكر المجحفة بحق المرأة».

بينما قال «عبد المعين الحمصي» من أهالي مدينة سراقب لزيتون: «حقوق المرأة في الوقت الحاضر معدومة كلياً، ولا سيما في السنوات الثلاث الأخيرة، وأظن أن العالم بأكمله شاهد معاناة المرأة السورية، وبالتأكيد للتجمعات النسائية دور كبير في توعية النساء، وإعادة هيكلية حقوق المرأة السورية».

وقال أحد أهالي مدينة سراقب -رفض التصريح عن اسمه- لزيتون: «في بداية الثورة كانت المرأة السورية قد امتلكت كل حقوقها تقريباً، ففي العام الأول من الثورة حصلت المرأة على حقها في العمل، وحقها في المشاركة في الحراك الثوري، ولكن منذ أن بدأت تتشكل التيارات السلفية الجهادية، بدأت بزرع أفكارها المتطرفة، مثل أن المرأة فقط للزواج والبيت وغيرها من الأفكار، وهنا بدأ الخرق لحقوق المرأة السورية، وكما نلاحظ الآن حتى حقها بتقرير مصير زواجها لم يعد ملكها، فالكثير من الفتيات يتم تزويجهن للمهاجرين دون أخذ رأيهن، وهذا بحد ذاته من أكبر وأخطر الانتهاكات لحقوق المرأة، ولا يقف عند حدود المرأة وحدها».

وعن دور التجمعات النسائية الموجودة في محافظة إدلب ومدى فاعليتها ومقاومتها للواقع الحالي قال: «لن يصلح العطار ما أفسده الدهر، وهذا ما ينطبق فعلياً على التجمعات النسائية الموجودة في المحافظة، وبرأيي مهما عملت هذه التجمعات والمراكز لن تستطيع تغيير الفكر المتطرف الذي زرعته الجماعات المتشددة في عقول ونفوس الأهالي رجالاً كانوا أم نساء».

تجمع معا نحو القمة..
تعليم النساء ومحو أميتهمن الخطوة الأولى

«سمر» ابنة جسر الشغور، زوجة مهاجر مغربي، ترى أن ما يتم الحديث عنه من تجاوز لحقوق المرأة ودورها المنقوص هو مجرد ترهات ليس لها صلة بالإسلام والواقع، وأن واجبها وحقوقها تنحصر في خدمة زوجها وتربية ابنائها في منزلها، ولا تجد في تعلم المرأة أي أهمية غير تعلمها للقراءة والكتابة للضرورة، أما غير ذلك فهو تقليد للغرب.

ياسمين جاني

وكانت قد انتشرت في السنوات الأخيرة بعد سيطرة الحرب على مفاصل الحياة في المجتمع السوري بشكل عام، ومحافظة إدلب بشكل خاص، أفكارا تدعوا إلى تقييد دور المرأة ومكانتها، والتضييق على نشاطها، من منع الاختلاط، وفرض الخمار وغيره.

إلا أن بعض النساء تحدين هذا الواقع، وعزمن على ممارسة نشاطاتهن وحقوقهن في المجتمع، فعملن على إقامة مشاريع خاصة بهن، وبجهود فردية وتطوعية كبداية، حيث أقمن مراكز وجمعيات ومعاهد خاصة بدعم المرأة ثقافياً واجتماعياً وتأهيلياً، بهدف توعيتها وتشجيعها على ممارسة حقوقها وواجباتها، من خلال إقامة ندوات توعوية في هذه المراكز، ودورات تدريبية ومهنية تساعد المرأة على المشاركة والعمل، كدورات التمريض والأشغال اليدوية والحرفية وغيرها.

وفي مدينة جسر الشغور، ورغم الواقع الصعب الذي عانت ولا تزال تعاني منه، منذ تحريرها وحتى اليوم، من سيطرة جماعات إسلامية عليها من جهة، وقصف الطيران والدمار فيها من جهة أخرى، إلا أن بعض النساء في المدينة عملن على تشكيل مراكز وتجمعات لدعم المرأة، وإقامة مشاريع لتوعية المرأة بشكل خاص، ومنها تجمع «معاً نحو القمة».

أُسس تجمع «معاً نحو القمة» منذ ما يقارب ستة أشهر، وبدأ بجهود فردية تطوعية من قبل مجموعة من نساء مدينة جسر الشغور، وبمشاركة بعض النساء النازحات إلى المدينة، منهن من يمتلكن خبرات وشهادات في مجالات متعددة، عملن كمدربات في المركز، ويبلغ عددهن ٣٧ متطوعة، بالإضافة إلى بعض النسوة اللواتي رفضن الانطواء في منازلهن، فبادرن إلى الانضمام للمركز، بهدف اكتساب خبرات ومهارات تفيدهن في حياتهن.

مديرة تجمع معاً نحو القمة وإحدى المؤسسات للتجمع «مريم أباظلي» قالت لزيتون: «تم تأسيس تجمع معاً نحو القمة من قبل نخبة من المتطوعات، الحاصلات على شهادات علمية وخبرات عملية، في مبنى معهد المجد، حيث قمنا بعقد اجتماع لكافة المتطوعات، تم خلاله انتخاب ثمانية عضوات لإدارة المركز، وتم تحديد نظام داخلي للتجمع، بحيث يتضمن جانب تعليمي، عبارة عن دورات متابعة صفية للطلاب ومحو الأمية، وجانب تأهيلي، يتجلى بدورات خياطة وأشغال يدوية وحلاقة وتجميل للسيدات، وآخر تثقيفي يتمثل بإقامة ندوات، ومكتبة هي الأضخم في منطقة جسر الشغور وريفها، بالإضافة إلى جانب تدريبي كدورات التمريض والإسعافات الأولية».

وأضافت «أباظلي»: «تجمع معاً نحو القمة هو تجمع مدني، حيادي، لا يتبع لأي جهة أو فصيل، ويملك هيكلية إدارية واضحة، تتمثل في التعاون الوثيق بين أعضاء اللجنة الإدارية لتسيير الأمور الداخلية والخارجية للتجمع، إلا أن التجمع لا يملك نظاماً مالياً محدداً، وذلك لعدم وجود جهة داعمة، فجميع العاملات في المركز من المتطوعات، ولا يتقاضين أي راتب أو أجر على عملهن حتى ولو كان بسيطاً، ويتم تغطية العمل في المركز من خلال التبرعات التي يقدمها بعض أبناء المدينة، أو من خلال منح صغيرة ومبالغ مالية محدودة تُقدم من جهات محددة، لتغطية تكاليف النشاطات التي تقام في التجمع».

ويهدف تجمع معاً نحو القمة إلى محاولة تلبية متطلبات المدينة من النواحي العلمية والثقافية والاجتماعية، وزيادة الدور الفاعل للمرأة، من خلال إقامة دورات تعليم وتأهيل لأطفال ونساء المدينة.

وتأتي دورات محو الأمية في المرتبة الأولى بالنسبة للتجمع، إذ يعتبر أن تعليم المرأة القراءة والكتابة، وتثقيفها ولو بشكل مبدئي، أمراً بالغ الأهمية، وإنجازاً كبيراً للتجمع ولنساء المدينة،

وفقاً لمديرة تجمع معاً نحو القمة، مضيفةً:
«شارك تجمع معاً نحو القمة بمعرض للأشغال اليدوية، أقيم في ريف مدينة جسر الشغور، كما عمل على تخريج دفعات من المتدربات في كافة المجالات والدورات التي أقامها التجمع، بإشراف نخبة من المتطوعات اللواتي يتمتعن بكفاءات علمية وعملية وإنسانية بالدرجة الأولى، وهذا ما يعبر عن الرقي الثقافي والاجتماعي للمرأة».

وعن واقع حقوق المرأة في محافظة إدلب في الوقت الحالي قالت مديرة تجمع معاً نحو القمة: «المرأة غير قادرة في ظل الظروف الحالية على ممارسة حقوقها أو المطالبة بها، فحق التعليم يعتبر أساسياً وضرورياً، ولكنه لا يُطبق كما يجب، بسبب الواقع الأمني والاجتماعي الحالي، وكذلك حقها في ميدان العمل، والذي تعتبر ممارسته أصعب من التعليم لما تعاني منه المرأة من تهميش، أما الحقوق السياسية وحق المرأة في الانتخاب أو الترشح للانتخاب فتكاد تكون معدومة، وللأسباب السابقة ذاتها، بينما تعد الحقوق العائلية أكثر الحقوق التي يمكن للمرأة ممارستها، وذلك لأنها تمارس ضمن حدود المنزل والعائلة».

ويعود تراجع حقوق المرأة في محافظة إدلب من وجهة نظر «أباظلي» لأسباب عديدة، أهمها قلة الوعي لدى الأهالي، والاهتمام بأمور أخرى جعلت حقوق المرأة أمراً ثانوياً في حياتهم، ووضعها في ظرف جعلها غير قادرة على ممارسة حقوقها أو المطالبة بها، كما أن انتشار ثقافة الحرب وقانون الغابة الذي بات سائداً في المجتمع، والنتائج الكارثية للحرب، التي أوصلت الأهالي إلى الحال الذي باتوا عليه، من التردي والتراجع الاجتماعي والاقتصادي والأخلاقي والديني، أثر بشكل كبير على المرأة وعملها وعلى الأهالي بشكل عام.

ويعد تثقيف المرأة في كافة مجالات الحياة، وتوعيتها، عن طريق المراكز الخاصة أو الدورات أو الندوات، وكسر القيود التي فرضت عليها، والتحرر من الواقع، من أهم الحلول التي تساعد المرأة في محاولة استرجاع حقوقها، بحسب مديرة تجمع معاً نحو القمة (معهد المجد)، والذي يعد الوحيد في مدينة جسر الشغور من حيث اهتمامه وتركيزه على دعم المرأة وتأهيلها.

ويختلف رأي أهالي المدينة حول حقوق المرأة، فواقع الحياة المفروض عليهم، وحالة الخوف من وعلى المرأة، جعل الكثير منهم ينساق وراء الأفكار التي تجعل للرجل سلطة على المرأة، وذلك بذرائع دينية وأخلاقية غير حقيقية، يفرضها المسيطرون على المدينة، واللافت أن هذا الانسياق بات موجوداً حتى ضمن صفوف النساء، كحال «سمر» التي ترى أن دور المرأة يقتصر على القيام بأعمال المنزل، وإقامة دورات شرعية للنساء لتعريفهن بأساسيات الدين والشرع، وباعتقادها أن وجه المرأة عورة، وصوتها عورة، واختلاطها مع الرجال سواء في العمل أو غيره حرام، وبذلك فإنه لا يحق للمرأة أن تمارس العمل خارج حدود منزلها وزوجها أو أهلها أياً كان هذا العمل، فهي لا تؤمن بالمراكز والمعاهد التي تعمل على توعية المرأة، إلا في ما يخص تعليمها القراءة والكتابة وتربية أطفالها.

والمرأة من وجهة نظر «سمر» لها عمل أساسي، يلغي كل ما سواه من حياتها، وهو تربية أولادها والاهتمام بزوجها، وهو فقط ما يتوجب عليها القيام به.

أما «فاطمة خضر» والتي حرمت بعد زواجها من أبسط حقوقها، ولا سيما حقها في العمل، وهي التي تحمل شهادة جامعية في اللغة الفرنسية، وترجع فاطمة حرمانها هذا لتماهي زوجها وبدون تفكير مع الأفكار المتشددة، التي طرأت مؤخراً على المحافظة، وخوفه من القائمين على المدينة، لا إيماناً منه بفكرة معينة، وهو ما تعتبره جهلاً منه، على حدّ تعبيرها.

وتأمل «فاطمة» أن يتحسن الواقع الاجتماعي في المدينة، وأن تقام ندوات توعية، ومراكز خاصة لدعم المرأة، لما لها من تأثير على المرأة من الناحية النفسية والاجتماعية، فهذه الندوات والمراكز من شأنها أن تزيد من ثقة المرأة بنفسها، وتشعرها باهتمام المجتمع بها، مشيرةً إلى أن إقامة مثل هذه المشاريع والمراكز يحتاج إلى ثقة كبيرة وإرادة وقوة لتحدي الواقع المفروض، وهو ما يقود إلى زيادة الوعي بين الأهالي، وبالتالي سيؤدي لاستعادة المرأة لحقوقها.

نساء سورية في المعرة: نحتاج إلى مزيد من التجمعات

حازت قضايا المرأة السورية بعد الثورة على اهتمام خاص، ولكن هذا الاهتمام اقتصر على منظمات المجتمع المدني، والتجمعات والمراكز النسائية التي شكلتها نسوة من أهالي المناطق التي تتواجد فيها هذه المراكز والتجمعات، وبالتأكيد لم يأت هذا الاهتمام من فراغ، وإنما استدراكاً لما تعرضت له المرأة في هذه الفترة، من انتهاكات لحقوقها، وتغيير لدورها، فتم تشكيل مؤسسات نسائية للنهوض بواقع المرأة إلى الأفضل.

مخلص الأحمد

ومن بين المؤسسات النسائية المشكلة في محافظة إدلب «تجمع المرأة سورية» في مدينة معرة النعمان، الذي بدأ نشاطه في منتصف هذا العام.
مديرة تجمع المرأة السورية في مدينة معرة النعمان «هدى سرجاوي» قالت لزيتون: «تم تأسيس التجمع ضمن مؤتمر تأسيسي في ٢٥ أيار الماضي في مدينة معرة النعمان، بهدف النهوض بالمرأة وتمكينها، وزيادة وعيها، وتشجيع مشاركتها في العمل المؤسساتي».

وأضافت «السرجاوي»: «سبق المؤتمر التأسيسي الأول عدة اجتماعات، تم خلالها وضع نظام داخلي للتجمع، يتضمن هيكلية ورؤية التجمع وأهدافه ورسالته، بالإضافة إلى النظام المالي، وعقب انعقاد المؤتمر الثاني للتجمع، تم تعديل النظام الداخلي، كما تم خلال الاجتماعات اختيار إدارة التجمع وأعضاؤه».
وقام تجمع المرأة السورية في مدينة معرة النعمان بعدة نشاطات، أهمها حملة «فرحتكم عيدنا»، والتي وزّع فيها التجمع الألبسة على المحتاجين، بالإضافة إلى إقامة ندوات توعية لنساء المدينة، حول وضع وحقوق المرأة في القانون الدولي، وذلك بمشاركة اتحاد المحامين، كما عقد التجمع عدة اجتماعات تناقش أوضاع المرأة في الشمال السوري، وشاركت فيها جميع المراكز والتجمعات النسائية في المناطق المحررة، وفقاً لمديرة تجمع المرأة السورية، والتي أكدت لزيتون أن التجمع لم يحصل منذ تأسيسه على أي دعم من أي جهة كانت، معتمدا على تبرعات أعضائه في نشاطاته التي يقيمها.

وعن تراجع دور وحقوق المرأة السورية بشكل عام قالت «السرجاوي»: «العامل الأبرز في تراجع دور المرأة السورية وحقوقها هو النظام السوري، الذي لم يفسح المجال لأي فئة بالتمتع بحقوقها وممارستها بالشكل الصحيح، وكانت المرأة من ضمن هذه الفئات التي حُرمت، وغُيّبت عن أماكن صنع القرار سواء أكان سياسياً أم مؤسساتياً، باستثناء فئة محدودة استخدمها النظام ليظهر حضاريته وعلمانيته، فيما تنتشر اليوم في المناطق المحررة، مراكز كثيرة لتوعية وتمكين المرأة».

وتتعرض حقوق المرأة في إدلب حالياً لانتهاكات كثيرة، ولا سيما حقوقها العائلية، إذ انتشرت حالات الزواج المبكر، نتيجة الأوضاع الأمنية والاقتصادية والنزوح، والذي أدى بدوره إلى حرمان هؤلاء الفتيات من إتمام تعليمهن، وأصبح التعليم بالنسبة للكثير من العائلات آخر اهتماماتهم، وأثر بالتالي على تعليم الأطفال.

ولكن المشكلة الأخطر التي تواجه حقوق المرأة العائلية هي تزويج الفتيات من أشخاص غير معروفين (مجهولي الاسم والكنية الحقيقية)، يُعرفون فقط بألقاب أو أسماء غير حقيقية، بحسب «السرجاوي»، مؤكدةً أن التجمع أقام منذ مدة اجتماعاً بهذا الخصوص، مع عدد من الشرعيين والحقوقيين، والذين أكدوا بطلان هذا النوع من الزواج.

وكون النظام في نظر «السرجاوي» هو العامل الأبرز في تراجع دور المرأة وحرمانها من حقوقها، فالحل الوحيد لاسترجاع المرأة ما سُلب منها برأيها، هو إسقاط النظام واستبداله بنظام جديد ديمقراطي واجتماعي، يمنح كافة فئات الشعب حقوقهم، وبذلك تحصل المرأة على حقوقها كاملةً، ولهذا السبب شاركت المرأة السورية في الثورة منذ بدايتها، لنيل حقوقها واختيار مستقبلها ونمط حياتها، بحسب تعبيرها.
ورأت «ميس محمد السيد» من نساء مدينة معرة النعمان أن المرأة لم تعد قادرة على الحصول على جميع حقوقها ومتطلباتها وفرصها في إثبات نفسها في ظل الظروف الحالية، وتم تهميش دورها بشكل كبير، وحصره ضمن نطاق المنزل والعائلة، مشيرةً إلى أن الحل يتمثل بتوفير بيئة آمنة للمرأة، تستطيع فيها ممارسة حقوقها، وإنشاء تجمعات نسائية فاعلة، تبحث في قضايا المرأة وتحاول إيجاد حلول لها، بالإضافة إلى تنفيذ مشاريع تعليمية ومهنية للمرأة، وإتاحة فرصة متابعة التعليم لمن حرمت منه.

من جانبها قالت «ريم النحاس» من نساء المعرة لزيتون: «التجمعات النسائية تقوم بتعزيز دور المرأة بشكل إيجابي، من خلال منحها الفرصة والثقة للتعبير عن آرائها وأفكارها ومتطلباتها، وإيصال صوتها، إلا أن هذه المراكز محدودة، ولكنها في ظل هذه الظروف تفي بالغرض نوعا ما»، متأملةً إنشاء تجمعات أكثر، وفي مختلف المناطق، دون حصرها بمكان أو مناطق معينة، حتى يتثنى لكافة النساء في المحافظة الاستفادة مما تقدمه هذه التجمعات.

بعد انتقالهم إلى المدارس التركية..
تراجع مستوى الطلاب السوريين في مرسين

حسين أبو علي

بقلق بالغ على مستقبل ابنتهما يشكو والديً الطفلة حلا، تراجع مستواها وقل اهتمامها بدروسها، بعدما كانت من الأطفال المتفوقين في صفها بالعام الماضي، ويرجع الوالدين أسباب هذا التراجع إلى انتقال «حلا» من مدرسة سورية في مدينة مرسين إلى مدرسة تركية حكومية.

ويقول «محمد جمول» والد حلا، أنه لم يكن يتوقع أن تتأثر طفلته إلى هذه الدرجة في دراستها، فقد كانت شعلة من النشاط والذكاء في العام الماضي حين كانت في الصف السادس، ويؤكد محمد أن حلا بدأت بالتهرب من ارتياد المدرسة، والتمارض أحياناً، بعد انتقالها إلى المدرسة التركية، وهو ما أثار قلقه من وضع المدرسة، وصعوبة اندماج ابنته في مدرسة لا تتحدث اللغة العربية أبداً.

وفي اجتماع لأولياء الأمور في مدرسة الشهيد فاتح سويدان بمدينة مرسين التركية عقد في شهر تشرين الأول الماضي، قال نائب المدير «أورهان أحمد» أن إلغاء المدارس السورية الذي تم في مدينة مرسين في هذا العام ونقل الطلاب السوريين إلى مدارس تركية، سيتم في كامل الأراضي التركية في العام القادم، مؤكداً على أن الأطفال السوريين لهم ذات الحقوق والقبول مستقبلاً في الجامعات التركية.

وأضاف نائب المدير أنه من المتوقع أن يجد الطلاب السوريين صعوبة بالغة في بادئ الأمر، ومن الواجب على الأهالي الترفق بأطفالهم وعدم مطالبتهم بما يفوق طاقتهم، مشيراً إلى أن إدارة المدرسة قد اتخذت جميع الخطوات التي من شأنها تسهيل اندماج الطلاب السوريين مع أقرانهم الأتراك، وإزالة جميع الفوارق بينهم في الصفوف واللباس والمعاملة.

واشتكى نائب المدير في حديثه للأهالي من مشكلة التأخر الصباحي لدى الطلاب السوريين، التي تعاني منها الإدارة، وهو أمر من مسؤولية الأهالي، مشدداً على ضرورة تنظيم الأهالي لأوقات أطفالهم ونومهم واستيقاظهم.

وتقدم مديرية التربية في مرسين دورات مجانية للطلاب السوريين لرفع مستواهم في مادة اللغة التركية لتعويض النقص لديهم، إلا أن الوضع ما يزال صعباً على الكثير من الطلاب، وهو ما يؤخر مستواهم الدراسي.

وقدم أهالي الطلاب السوريين مداخلات في الاجتماع، تضمنت جل المشاكل التي يتعرض لها أطفالهم، بخصوص اللغة التركية التي تقدم بها جميع الدروس، وضعف فهمهم للكثير من المواد، لا سيما مادتي الاجتماعيات والرياضيات، اللتين تحتويان على مفردات ومصطلحات صعبة، فيما تبقى مادة القراءة والعلوم من المواد الممكن استيعابها.

وتعبر الطالبة حلا عن انزعاجها وضيقها من عدم فهمها لكافة الدروس، ولا سيما مادة الرياضيات، والتي تقف عاجزة مع عائلتها عن فعل أي شيء حيالها، نظراً لجهل الأهل أيضاً باللغة التركية، رغم تعاون الكادر التدريسي مع الطلاب السوريين بشكل واضح، وخلوّ المدرسة من أية مشاكل بين الطلاب السوريين والأتراك.

وكانت بعض كوادر المدارس السورية قد انتقلت إلى المدارس التركية بداية العام الدراسي الحالي، وهو ما خفف عبء جهل الطلاب باللغة التركية، بمساندة معلمين سوريين موجودين معهم، قادرين على التواصل معهم ومع ذويهم في حالة الضرورة.

أحد المعلمين السوريين في مدرسة الشهيد فاتح سويدان قال لزيتون، من الطبيعي حدوث الاضطراب لدى الطلاب السوريين بعد انتقالهم إلى مدرسة تركية، لكنها خطوة لا بد منها في سبيل ضمان مستقبل الأطفال السوريين، مبرراً ذلك بعدم حصولهم على شهادات من التربية التركية في حال عدم التحاقهم بمدارسها النظامية، وستكون دراستهم في المدارس السورية خارج اعتراف التربية التركية.

ويؤكد المعلم أن الخطوة على صعوبتها إلا أنها ضرورية للطلاب، ولا بد من هذه المرحلة عاجلا أم آجلاً، ومن الأفضل الإسراع بها وذلك لاستيعاب الأطفال الأصغر سناً أكثر ممن هم أكبر بالسن، منوهاً إلى ضرورة الاستعانة ببعض المعلمين الخاصين وتعاون الأهل مع الطالب، للتخفيف من حدة غربة المناهج في السنة الأولى.

تداعيات فتح معبر «مورك» على أسعار السلع في الشمال

فتحت قوات النظام في مدينة حماة يوم الأحد ١٢ تشرين الثاني الجاري، طريق «حلب - دمشق» عند نقطة مدينة مورك المحررة، والتي تعتبر المعبر ما بين مناطق سيطرة النظام والمعارضة أمام حركة الشاحنات والبضائع ما بين المنطقتين. وجاء افتتاح معبر مورك عقب مرور نحو شهر على خسارة قوات النظام لمعبر أبو دالي بريف إدلب الجنوبي، الذي كان يسمح بمرور كافة البضائع بما فيها المحروقات لقاء مبالغ مالية طائلة، وكانت تسيطر عليه مجموعات تتبع لعضو مجلس الشعب «أحمد درويش»، وتوقف عن العمل بعد سيطرة هيئة تحرير الشام على قرية أبو دالي، في ٨ تشرين الأول الماضي، والتي كانت تعتبر آخر قرية خاضعة لقوات النظام في محافظة إدلب، باستثناء قريتي كفريا والفوعة.

معبر مورك - إنترنت

وعد البلخي

وقالت مصادر ميدانية إن قوات النظام بدأت في اليوم السابق لافتتاح المعبر، برفع السواتر الترابية والكتل الإسمنتية من الطريق تمهيداً لبدء حركة مرور الشاحنات بشكل سلس ودون عوائق، وذلك تطبيقا لبنود اتفاق خفض التوتر الموقع بين الدول الثلاث (روسيا وتركيا وإيران).

ويتضمن الاتفاق السماح بحركة العبور للقوافل التجارية والحافلات وجميع أنواع النقل البري بين مناطق سيطرة النظام وسيطرة المعارضة عبر الخط الدولي الواصل بين دمشق وحلب، إضافة لعودة التيار الكهربائي وضخ المياه لجميع المناطق تدريجياً.

وتأتي أهمية طريق «حلب - دمشق» الدولي من كونه أحد أهم الطرق العامة الواصلة ما بين عاصمة سوريا السياسية وبين عاصمتها الاقتصادية، كما يقسم الطريق الدولي وسط سوريا، ويمر بمحافظات «حمص وحماة وإدلب» وصولاً إلى حلب، ويشكل صلة الوصل ما بين جنوب ووسط وشمال سوريا، وخط تهريب رئيسي، ويصلح لعبور الشاحنات الكبيرة من خلاله على خلاف طريق قلعة المضيق الوعر، ولذلك فهو يتمتع بأهمية بالغة لدى كلاً من النظام والمعارضة في المناطق المحررة شمال سوريا.

وكان طريق «حلب - دمشق» الدولي قد أغلق قبل نحو ٣ أعوام، عقب معارك التحرير التي خاضها الثوار في تحرير مدينة معرة النعمان ووادي الضيف ومورك، وللوصول إلى حلب قامت قوات النظام بالاستعاضة عنه بعدة طرق، كطريق «أثريا- خناصر»، الذي لا يزال يعمل حتى الآن للنقل البري والحركة التجارية، وطريق «قلعة المضيق» للوصول لمناطق ريف حماة الشمالي، وطريق «أبو دالي» لريف إدلب الجنوبي.

وأفاد مصدر خاص من هيئة تحرير الشام بأن هناك اتفاق بين هيئة تحرير الشام وقوات النظام يقضي بعدم استهداف طريق حلب- دمشق الدولي من أي من الطرفين، نظراً لأهميته الكبيرة سواء للنظام أو للشمال السوري المحرر.

وقال الناشط الإعلامي «محمد هويش» من أهالي ريف حماة لزيتون: «معبر مورك مفتوح حالياً فقط أمام حركة النقل التجاري ذهاباً وإياباً، ولكن في حال نجحت عملية نقل البضائع وعبور القوافل التجارية دون أي مضايقات، سيتم نقل الركاب لاحقاً عن طريق المعبر، الأمر الذي من شأنه أن يخفف من الأعباء المالية على الأهالي».

وفي أول حركة للمرور من معبر مورك بعد افتتاحه من جديد، عبرت ٢٥ شاحنة محملة بالمواد الغذائية من مناطق سيطرة النظام إلى مناطق سيطرة المعارضة، بينما عبرت بالاتجاه المعاكس من مناطق المعارضة باتجاه مناطق النظام، ٧ شاحنات محملة بالخضراوات.

تأثير افتتاح معبر مورك من وجهة نظر تجار إدلب

اعتبر «سالم الحج عيسى» تاجر من أهالي إدلب أن افتتاح معبر مورك ما هو إلا محاولة من النظام لنسيان خسارته في بلدة أبو دالي التي كانت المعبر إلى المناطق المحررة، مضيفاً: «أما بالنسبة للأسعار فحتى الآن لم يطرأ عليها أي تغيير، ولن يطرأ لاحقاً، وذلك لأن حواجز النظام ستتقاضى رسوماً وضرائب كما كانت تتقاضى قبلها ميليشيات درويش، إلا أن الفرق بين معبر مورك ومعبر أبو دالي هو أن معبر أبو دالي ثانوي وكانت تسيطر عليه مجموعة أحمد درويش، بينما معبر مورك معبر رسمي واستراتيجي وتحت سيطرة قوات النظام، ولذلك ستكون كميات المواد الداخلة للمناطق المحررة أكبر، وستعج هذه المناطق بالبضائع».

في حين قال «محمد سفلو» تاجر من مدينة إدلب لزيتون: «فتح المعبر هو سلاح ذو حدين، فهو سيخفض من أسعار الكثير من البضائع، ولكنه بالمقابل سيرفع من أسعار المواد التي سيتم تصديرها من مناطقنا إلى مناطق النظام، بالإضافة إلى جهلنا حتى هذه اللحظة بماهية المواد المسموح بدخولها إلى مناطقنا، والشحنات التي وصلت كانت عبارة عن مواد غذائية وألبسة، وتم إرسال شاحنات من الخضراوات إلى مناطق النظام».

وتوقع «مصطفى القاضي» صاحب محل لبيع المواد الغذائية بريف إدلب أن تنخفض أسعار المواد الغذائية السورية فقط، لأن دخولها للمناطق المحررة سيصبح أسهل، وتوفرها سيكون أفضل، مبيناً أن الأسعار لم تشهد أي انخفاض أو تغيير حتى الآن.

وأوضح «صلاح رسلان» تاجر مواد بناء من ريف إدلب أن أسعار مواد البناء وتوافرها لن تتأثر بافتتاح معبر مورك أو إغلاقه، وذلك لأن هذه المواد يتم استيرادها من الأراضي التركية، وليس من مناطق النظام، بينما رأى أن المحروقات النظامية المستوردة من مناطق النظام من الممكن أن يطرأ انخفاض على أسعارها.

أسعار مواد البناء وتوافرها لن تتأثر بافتتاح معبر مورك أو إغلاقه، لأن هذه المواد يتم استيرادها من الأراضي التركية، وليس من مناطق النظام، بينما رأى أن المحروقات النظامية المستوردة من مناطق النظام من الممكن أن يطرأ انخفاض على أسعارها.

فتح معبر مورك وآثاره برأي الشارع الإدلبي

لا يرى «علي الجاسم» من أهالي مدينة إدلب أن هناك أي تأثير إيجابي لافتتاح المعبر على الأهالي، وأن الأسعار لن تتغير عما هي عليه الآن، فالتجار هم ذاتهم وحواجز النظام والمعارضة هي ذاتها لن تتغير، ولن تتوقف عن تقاضي الرسوم على البضائع بعد فتح المعبر، مستشهداً بالفارق بين سعر ليتر البنزين في مناطق النظام، والذي يبلغ ٢٥٠ ليرة سورية، وبين سعره المضاعف في المناطق المحررة بعد عبوره لهذه الحواجز، والبالغ ٥٠٠ ليرة سورية لليتر الواحد.

«خالد الجلوي» أحد النازحين المقيمين في مدينة إدلب قال: «قبل معبر مورك كان هناك معبر قلعة المضيق ومعبر أبو دالي، ومع ذلك كانت الأسعار مرتفعة، وذلك لأن التجار هم من يتحكمون بالأسعار وليس المعابر، وحواجز النظام هي حجتهم وذريعتهم دائماً، ولن يتخلوا عن ذرائعهم بسبب معبر مورك»، مطالباً هيئة تحرير الشام بتحديد أسعار السلع ومراقبة الأسواق.

كما قال أحد أهالي مدينة بنش- رفض التصريح عن اسمه- لزيتون: «لا أتوقع أن يطرأ أي تغيير على أسعار السلع والمواد القادمة من مناطق النظام، وحتى في حال طرأ انخفاض على الأسعار سيكون انخفاضاً لا يُذكر، واستفادة الأهالي من فتح المعبر ضئيلة جداً، ولا سيما أن حركة نقل الركاب ممنوعة حالياً، وفي الغالب ستبقى كذلك، وفتح المعبر لا يصب سوى في مصلحة الفصائل المسيطرة على المعابر، والتي ستواصل فرض الرسوم على البضائع والسلع التي تدخل إلى المناطق المحررة، كما كانت تفعل في معبر أبو دالي».

مكتبة الشبكة العربية.. ملتقى العرب في إسطنبول

من صفحة المكتبة على الفيس بوك

بلا يافطة تدل عليها، سوى ما تناقله الرواد بين بعضهم من عناوين إلكترونية ليستدلوا عليها، في شارع وُزعت في منتصفه مقاعد للمارة، تقبع مكتبة الشبكة العربية في حي الفاتح بإسطنبول، إحدى المكتبات العربيات الثلاث الوحيدات في المدينة، جامعة أكثر من ثمانية الاف كتاب فيها، يتردد إليها كل العرب من جميع الجنسيات.

حياة الخضر

ليس لـ «عمر السعود» العامل في مكتبة الشبكة العربية وهو طالب في كلية الشريعة، سوى ثلاثة أشهر في المدينة، بعد هربه من ملاحقة قوات النظام له، تاركاً أهله وزوجته في الغوطة الشرقية، بهدوء وود وبانسجام بالغ مع مشهد الكتب ورائحتها، يقدم عمر القهوة لرواد المكتبة كمن يقدم هدية لصديق، قنوع ومؤمن وراسخ، ساعدته خبرته في وظيفته السابقة بالسجل المدني بالغوطة على عمله في توضيب المكتبات.

منذ افتتاح المكتبة قبل شهر ونصف، بدأ عمر عمله فيها، يقتضي واجبه افتتاح المكتبة صباحاً، يستقبل الرواد الصباحيون الذين يحبون قراءة الصباح كمتنفس لهم على فنجان من القهوة، وأغلبهم من كبار السن، كما يرتب الكتب المبعثرة على الرفوف، فيما يأتي البعض الآخر مساء بحسب ما يسمح به وقتهم، ويزداد الحضور بشكل كبير في أيام العطل، إذ يأتي الكثير من محافظات أخرى.

يشير عمر إلى أن أغلب رواد المكتبة الصباحيين من السوريين المقيمين في حي الفاتح، لكن لا يخلو الأمر من بعض الجنسيات العربية الأخرى كالعراقيين والمصريين والمغاربة، منوهاً إلا أن وقت الزيارة تحدد هوية الزبون، وبإمكانه التعرف على الرواد من أوقات زيارتهم، فالطلاب يأتون الساعة الرابعة عصراً، بينما يأتي العاملون فيما بعد الساعة السادسة.

يحكي عمر عن لقاءات العرب ببعضهم في المكتبة، سواء من الجنسية ذاتها أو حتى من جنسيات مختلفة، إذ يعتبر الكتاب والمكتبات سفراء تقارب بين المتصفحين، لافتاً إلى أمسية شعرية أقيمت مؤخراً

حمص لفتاة سورية مقيمة في فرنسا، يحكي عمر تفاصيل لقاءهما صدفة أثناء بحثهما عن كتاب معين

ويتابع عمر بأن الشبان يبحثون عن شريكة حياتهم في الأمكنة المناسبة، فمن يبحث عن فتاة مثقفة لا بد أن يستهدف المكتبات، وهو ما كان عمر شاهداً عليه.

فيما يستهدف الشبان الروايات، ويستهدف المختصون ما يناسب اختصاصاتهم، وتذهب النساء إلى قضايا المرأة والطبخ، كما تعرف الكثير من العرب فيها على بعضهم مصادفة، فيما التقى آخرون بأصدقاء لم يكونوا يعرفون بوجود بعضهم في تركيا.

وعن خطبة شاب سوري من مدينة

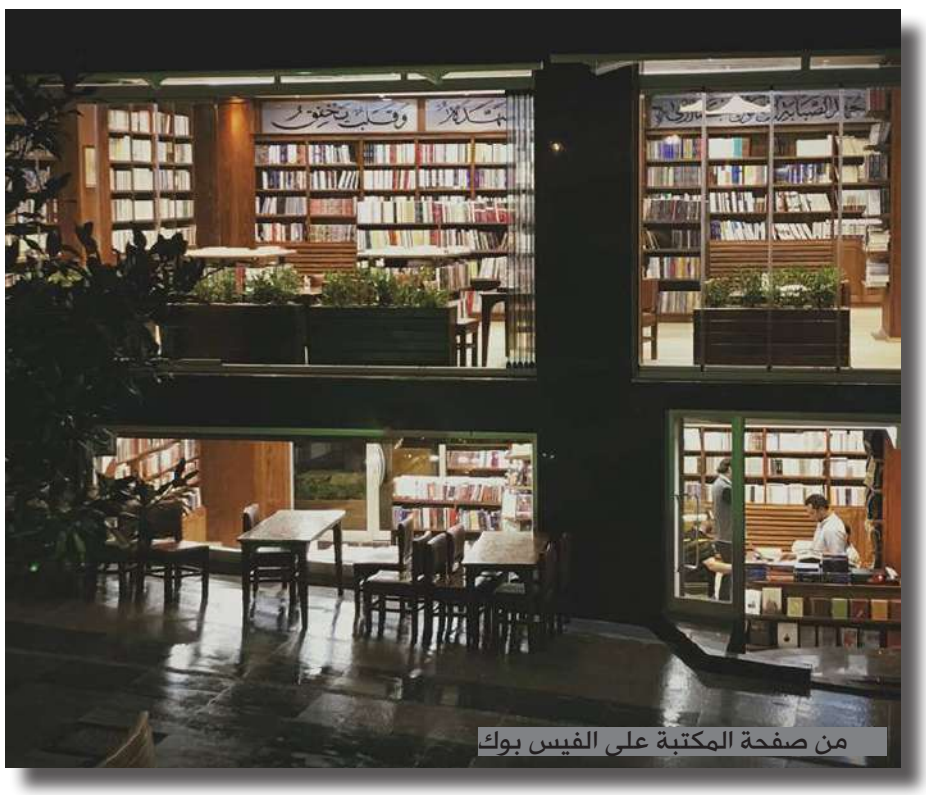
من صفحة المكتبة على الفيس بوك

يرغب الجميع في الكتب التي تم منعها في الدول العربية، والمتوفرة في مكتبة الشبكة العربية بحي الفاتح.

ويرى عمر أن أهمية المكتبة تأتي من إثبات وجود عربي في إسطنبول، فضلاً عن نشر الوعي والثقافة لدى الجاليات العربية، ويعبر الكثير من الرواد عن راحتهم وسعادتهم بحضور اللغة العربية في عناوين الكتب وفي نكهة القهوة والشاي السوريتين، وحديث الكادر والزبائن.

وتنتشر عدة فروع لمكتبة الشبكة العربية في كل من مصر ولبنان والمغرب، فيما يدير كادر من المصريين والسوريين فرعها باسطنبول، ويشير عمر إلى تميز مكتبة الشبكة العربية عن باقي المكتبات بالسعة والتعاون الجيد من قبل القائمين على المكتبة مع روادها.

وللمكتبة صفحة إلكترونية على موقع الفيس بوك، تقدم من خلالها عناوين الكتب الجديدة الواردة، ومواعيد نشاطاتها الثقافية، وتصنف المكتبة الكتب بحسب دور النشر، بخلاف المكتبات التي تعتمد في معظم تصنيفاتها على نوع الموضوع.

أحد الزبائن وهو مالك لمكتبة سورية صغيرة قال عن المكتبة لزيتون: «أتسوق أحياناً بعض الكتب المطلوبة بشكل سريع اختصاراً للوقت الذي يتطلبه جلبها من خارج سوريا، ورغم ارتفاع سعر الكتاب في مكتبة الشبكة العربية، إلا أن حسن التعامل والاستقبال من إدارة المكتبة والكادر يعوض الفرق».

مدير المكتبة «يحيى زكريا» لا يرى أن مكتبة الشبكة العربية على حداثتها يمكن أن يكون لها دور يؤهلها حالياً للعب دور الملتقى بين العرب، لكنه أشار إلى النشاطات الثقافية المساهمة في هذا الدور، مؤكداً على أن الأمسية الأخيرة كانت لشاعر عراقي، لكن الحضور كان من السوريين والمصريين وباقي الجنسيات العربية، وبشكل أو بآخر، بدأت الجاليات العربية التعرف على ثقافة بعضها البعض، من خلال حضورهم نشاطات ثقافية مشتركة، وما يتخللها من نقاشات وتجاذب لأطراف الحديث.

كما يجد البعض أن الكتاب بحد ذاته هو ملتقى عربي، يأتي ذلك من حياديته وخلوه من الفوارق الشكلية واللغوية، وهو ما تتيحه المكتبات بوجود هذا الرابط الورقي من أسباب التقارب بين مختلفين.

أقامت مكتبة الشبكة العربية أمسيتان شعريتان خلال شهر ونصف من افتتاحها، وتستعد لإقامة معرض لكتاب الطفل في ٢٠ من شهر تشرين الثاني الحالي لمدة ٦ أيام، كما يَعِد مدير المكتبة ببرنامج ثقافي واسع، سيتخلله معارض لكتب ولقاءات مع كتاب ومفكرين وأمسيات وندوات فنية بشكل دوري، لتمكين أكبر شريحة عربية في إسطنبول من الفائدة.

ويعتبر «زكريا» أن افتتاح مكتبة للشبكة العربية في إسطنبول أمر طبيعي نتيجة لوجود جالية عربية واسعة مع قلة المكتبات المتواجدة فيها، لذا من المهم خدمة هذه الجالية ومدها بوسائل المعرفة ومنها الكتب، التي يتشاركها الكثير من الأتراك المتعلمين للغة العربية والمتخصصين بها إلى جانب الجالية العربية، واصفاً الإقبال على المكتبة بالجيد.

وفي الشارع المقابل للمكتبة يمر الكثير من العرب والسوريين، وفيما تستمر المكتبة بفتح أبوابها، تزداد احتمالات اللقاء بينهم، على أمل أن يكون الكتاب بضفتيه جسراً للتواصل فيما بينهم.

الفنان الخطاط «محمد عماد محوك»: أجمل اللوحات تلك التي مزج حبرها بالدمع

الفنان: محمد عماد محوك

حرضته رائحة البن فحكى على غير عادته، وغرق بالذكريات فتورط بالبوح بها، عن عشقه المفرط للخط الكوفي ولحلب وقلعتها، وأسواقها القديمة ورائحتها، إلى صمته الطويل وبكائه أمام آية قرآنية انتهى توا من كتابتها، عن حزنه الكبير للخراب الذي نحن فيه، بمقهى حلبي في إحدى أحياء إسطنبول، روى لزيتون حكاية الخط في حياته.

رائد رزوق

للشروع باللوحة شرط أساسي لدى الخطاط «محمد عماد محوك» فهي تتطلب الخلو والانفراد بنفسه، ومن المهم أن يكون الحيز المكاني مستقلاً ومغلقاً أياً كان هذا الحيز، إذ لا يهم اتساعه، فاللوحة هي شرفته وحيزه وفضاؤه، ولم تكن الغرفة التي عمل بها في جامع السلطانية الأيوبي في حلب القديمة مقابل القلعة تتسع ليتمدد في عرضها، ورغم ذلك كان يشعر بالراحة والحرية المطلقة حين يغلق بابها عليه، ورغم السنوات الطويلة التي مرت على عمله بالخط، ما تزال هذه العادة حاضرة لديه.

ومن هنا فإن أي مقاطعة له -لا سيما في بداية شروعه في العمل- تقضي على إمكانية متابعة اللوحة، فالطارئ له فعل العزول بين محبين ويزيل ذلك الانسجام الداخلي الذي هيأه الفنان، لأن اللوحة ليست وظيفة أو عمل، ولا هي اعتياد، إنما هي نوع من العبادة والحب، يجب التحضر له والاستعداد لكي تكون البداية صحيحة، ولا الحرف لديه تكرارا متقنا لشكل ثابت، بل إن كل جزء من الحرف هو اختزال لحياة ما، فحتى الصلاة لا يصليها خمس مرات لكي لا يجردها من الروح.

عشب بري ينمو على صخرة في بيئة قاسية

بلا معلم، وبصبر الاقتداء بكل ما وقعت عليه عيناه من خطوط من سبقوه، أتقن القواعد لينطلق منها إلى سمائه الخاصة في الإبداع، ويبدو أن عدم اتباعه لأستاذ معين أعطاه الحرية لشق طريقه الخاص، وخلصه من سلطة المعلم، ذلك ما يورده الكاتب صخر الحاج حسين في مقالة له في صحيفة السفير على لسان أستاذ الخط العربي في اسطنبول «نهاد جتين» حين اطلع على أعمال محوك قائلاً له: «لقد اخترت أن تتعلم بالطريقة الأصعب. أنت كعشب بري ينمو من صخرة في بيئة قاسية».

ويضيف محوك في ذات المقالة «لا يحتاج المرء سوى للمحة على السير الذاتية للخطاطين الكبار ليتأكد بأنهم يشكلون جزءاً ثابتاً من سلسلة طويلة من اكتساب المعرفة. وبوصفهم طلاباً عليهم أن يمارسوا التقليد، وفقط بعد إكمال تلك الدراسات يتمكنون من الولوج إلى مرتبة المحترفين أو الأساتذة. إن الخط بالإضافة إلى كونه تمريناً روحياً، هو محاكاة للخالق، هو أيضاً علم دقيق من الأشكال الهندسية والإيقاعات. سألت عماد كيف تمكن من شق طريقه وحيداً.

يقول عن أولى انطباعاته عن الخط:

«كان أبي موظفاً بسيطاً، لكنه صافٍ وجميل، لم يكن خطاطاً، لكنه كان ملكاً حين يكتب، وكنت تراني أقف مذهولاً وأنا أراقبه، فقد كان يتعامل مع الحرف بقدسية ومحبة، أورثني إياهما منذ الصغر، كما كان أستاذي في الصف الأول ذا خط جميل، وأذكر أنني في ذلك الحين وأنا أتعلم على ألف باء الكتابة، كتبت له حرف الواو فقال لي الأستاذ «واوك جميل جداً» رافقتني هذه الجملة خمسين عاما.

بعد «واوه الناجحة» وفي المرحلة الإعدادية، لم يسعى محوك ليتعلم القواعد، بل مارس الخط كقضية شغف وعفوية، كشرب القهوة والماء، لتتحول اليوم إلى منقذ وخلاص، يهرب إليها، حتى أنه قلما ينجو من علاقة بينه وبين اللوحة، بل غالباً ما تتحول إلى جزء منه وتحمل بعضه، وهو ما يرهقه في بيع اللوحات.

عن معرضه الذي أقامه في إسطنبول يروي محوك: كنت ترى في وجوه الناس ردة فعلهم، فلكل لوحة قصة، وفي كل لوحة حياة، وإن لم تحوز اللوحة على جزء منك فما هي بلوحة، أنت لا تخطط ما ستكون عليه لوحتك المقبلة، أنت تفكر فيها، وتعرضها للوقت، حتى تنضج وتختمر بقلبك لأيام، لتحضر طوعاً بعدها بكامل حلتها بلا تخطيط، وحين أنتهي لا أستطيع أن أضيف لها نقطة ما، كما لا أستطيع أن أنقص منها نقطة ما، وهو ما أعاني منه حين يُطلب مني أن أضيف أو أحذف، هكذا جاءت ولا يمكن تغييرها، فلا تقل لي لماذا؟، فحين يحكم الصدق صنع اللوحة لا يمكن مناقشتها.

يحلم محوك في تجسيد الخط العربي بأربعين لوحة تمثل حجارة قلعة حلب، تطوف العواصم العالمية، كسفيرات عن السوريين، في إشارة إلى أن السوري صاحب حضارة ورسالة، أضاف سابقاً وما زال قادراً على أن يضيف قيماً وفناً انسانياً محضاً، إذ ما يزال محوك يجيب على من يسأله متى تعلمت الخط؟ بأنه تعلمه منذ أربعة آلاف سنة، وجده هو من اخترع الكتابة.

«الجمال والإبداع لا يمكن أن يعلب أو يقونن»، هذا ما يؤمن به محوك، وهو ما دفعه إلى تجاوز قواعد الخط الكلاسيكي رغم اتقانه لها، فللإبداع توازنات تخرج عن إمكانية ضبطها، ورغم بدئه من القواعد إلا أنه اتخذ فضاءه الخاص، فالألف في القاعدة سبع نقاط، لكنه في لحظة ما قد يجعلها اثنتا عشرة نقطة، ويرى أن القواعد والقوانين تأتي في محاولةٍ لأسر وإلقاء القبض على لحظة الإبداع، أيا يكن فالفن سابق للقواعد، كما سبق الشعر البحور، وكما سبقت النظرية البراهين في الرياضيات، إذ يأتي العمل أولا ثم توضع القوانين.

درس محوك الرياضيات والتي ساعدته كثيرا في صنع هويته الفنية، ففضاءها وصدقها انعكس على حروفه وخياله، وهي أيضا كالفن تحتاج إلى الحرية، لا يمكنك أن تكون فنانا في الأسر، تحتاج إلى فضائك وجوّك الخاص لتضيف شيئاً.

عن الجداريات يقول محوك، في سوريا كانت الجدارية في جامع عبد الله ابن عباس بطول عشرين مترا، بعرض متر وربع، وكان هناك مجسمات تشبه الجداريات كمجسم «حلب عاصمة الثقافة الإسلامية»، المجسم الذي صار وسماً لحلب، إلا أن كل مساحة فارغة على حائط هي استفزاز لي، إذ أنشغل بتصميم لوحة تكون بذلك الحجم.

مشهور بالغربة وغريب في الوطن

محوك الذي غادر حلب لعامين في رحلة عمل إلى السعودية لكتابة نسخة من القرآن، سرعان ما عاد إلى حلب وحجارة قلعتها وجوامعها وأسواقها ورائحة الصابون والزعتر الحلبي، مؤثراً إياها على رفاهية الغربة.

لم يسعى لتسويق نفسه، لكنه يئس من تهميش لوحاته في بلده، هو معروف في الدوحة والرياض أكثر مما هو معروف في حلب، حلب التي سكنته، لم تعطه الفرصة والحرية، ومعرضه الوحيد الذي أقامه فيها عام ١٩٩٧ ندم عليه، قائلاً عنه: «كان حجم الأمية محبطا».

في سوريا كان يُحسب الخطاط على التنظيمات الإسلامية لارتباط الخط بالنصوص القرآنية، لذا لم يكن مسموح العمل على الجداريات، متناسين روحانية هذا الحرف وأساسه وأبعاده، يقول محوك: «لم يُسأل بيكاسو إن كان كاثوليكيا أم بروتستانتياً، الفن لا يحسب على الدين»، فأثناء كتابته لنص قرآني وغوصه وتبحره في المعنى الخفي خلف الحرف، تخنقه آيات وتشرح صدره آيات أخرى، دون معرفة السبب.

يصف الكاتب الصحفي والمسرحي «بشار فستق» تجربة الخطاطين بشكل عام وصديقه محوك بشكل خاص بقوله: «لقد عمل الخطّاطون بصمت بعيداً عن الأضواء، واجتهدوا، دون أن يتلقّوا أيّ تشجيع، وربّما العكس، فقد كان منهم من يخاف عندما يشترك في مسابقة دوليّة، أن يتعرّض للسين والجيم، وربّما أكثر».

ويضيف «فستق»: «تفتح الصالات والمعارض أبوابها للخطّاطين السوريّين في العالم، بينما كانت تُغلق الأبواب في وجوههم في بلدهم، ويعرف المشاهدون في الخارج فنّهم، ولا يعرفه أبناء بلدهم. يعيش معظم الخطّاطين السوريّين خارج أرضهم، ومنهم الخطّاط الحلبيّ محمّد عماد محوُك، الذي يعيش اليوم في إستانبول، وتحتفل به وبأعماله الأوساط الفنيّة في عواصم الفنّ العالميّة، وقد واكب الثورة السوريّة منذ لحظاتها الأولى، وأبدع لوحات خطّية عن الحريّة وعن الشعب وضدّ الظلم، وما زال يبدع كغيره من الفنّانين المؤمنين بالثورة وانتصارها على الاستبداد».

للفن والأصدقاء أولوية

في حمى إخلاصه لعشقه يروي محوك كيف أنه حين نصحه صديقه «بشار فستق» بقراءة رواية «الإخوة كارامازوف»، وكان حينها بفترة امتحانات، خسر عاماً دراسياً وهو مستغرق في قراءتها، كما حدث أن فضّل في حادثة أخرى حضور معرض فني في مقهى الجامعة على حضور امتحانه، في حالة ينتفي فيها المنطق لتحل مكانه أولويات الشغف.

ويعتبر محوك أن الخط مثل اللون ومثل الشعر ومثل الموسيقا يجب أن يكتب بصدق مع المعنى، تسمع الكثير من الشعراء لكن قلة منهم من يبكيك، الفارق بينهم هو الصدق الذي كتبت به تلك الكلمات، حين طلب إليه صديقه الشاعر «عبد السلام حلوم» أن يصمم له غلاف ديوانه «أما قبل» أرسل له بعضا من القصائد، كان مطلع إحداها «لا أعرف لماذا الآن أرثيك يا أبي»، بكى في تلك الليلة، وما زال يعجز حتى اليوم عن إكمالها كما يقول.

ويرجع محوك سبب ذلك كونه الصبي الوحيد في الأسرة، ما اضطره لكي يفرد مساحة واسعة في حياته للأصدقاء مع أقرانه في الحي والدراسة.

يقضي محوك ساعات طويلة ماشيا في شوارع اسطنبول باحثا عن أصدقائه الذين لهم في حياته دور كبير، وحين لا يجدهم يذكر أمه وهي توصيه بقراءة سورة الضحى عندما يبحث عن شيء لا يجده، يقرأ محوك الضحى ولكنه لا يجد أحداً.

لوحات مكثفة، وتفاصيل لا متناهية كتبت بالدموع

أمام لوحة خط عليها اسم حلب لا توحي إلا بالبكاء، قال محوك أنه قد مدد حبرها بدموعه إثر دمارها، ومن على ضفتي الألم والحرية، يرى أن هذا الدمار لا بد منه، بعد سنوات الخنوع الطويلة، اللوحة التي تستمد كلماتها من التراث الحلبي، تتداخل حروفها كتداخل الدمع والدم، وتنضح بالعويل والبكاء، وتجسد الدمار والخسارة التي لحقت بتلك المدينة.

في لوحة الإخلاص يقول محوك: «سطر واحد من سورة الإخلاص، كتبت منه ١١ متراً بعرض ٧سم، كنت أعمل على أجزاء منها، لا يتجاوز طول الجزء ٣٠سم، كنت أغرق في كل جزء، وأشعر به كوناً كاملاً، أضيع في تفاصيله، وأنسى المساحات والمسافات، وحتى الزمن، لم أكن أعرف كم كان منجزا، كما لم أكن أعرف كم بقي منها، كانت المساحة سماوية فعلاً، كنت قبل البدء بها قد اتخذت قراري بتحديد نوع الخط، لأكتشف في نهاية المطاف، أن الأمر فاق كل تخيل، جلست إثر انتهائها أبكي، أنا لا أعرف شيئا عن الخط، هو بحر أكبر مني بكثير، ماذا يمكن أن آخذ منه، أنا عاجز حتى عن الأخذ، في جامع السلطانية وصلت إلى مرحلة تكسير القصبات بعد أن انتهيت، فأنا لست خطاطاً».

لوحة القدس، كتبت بكل الألوان وبكل الأطياف، وبكل الأديان، تم رسمها أثناء حرب غزة دعماً للقضية الفلسطينية، على صورة الشماخ العربي رمزاً لمكانة القدس على رؤوس العرب، لم يتم دعم مشروعه في تحويلها إلى عمل تجاري يذهب ريعه إلى الفلسطينيين، في اللوحة تفاصيل دقيقة جدا لا تلحظها العين من النظرة الأولى، بل تحتاج إلى عين خبير متفحص كي يكتشف مدى الجهد والإبداع المكون لها.

لوحة «فسيكفيك الله» حين انتهى منها، كانت المحبرة قد جفت تماما، في هذه اللوحة يتجسد الانسجام الكامل ما بين اليد والقلم والنص، من روح النص إلى روح الكاتب عبر القصبة، رعاية الكاتب لحروف الله ورعاية الله للكاتب، في صوفية فاتنة، تصل للناظر وتؤثر فيه.

*عماد الدين محوك، من مواليد مدينة حلب ١٩٥٩، خريج جامعة حلب كلية العلوم قسم الفيزياء، حائز على دبلوم بترميم المخطوطات من مكتبة السليمانية بإسطنبول ١٩٩٠،

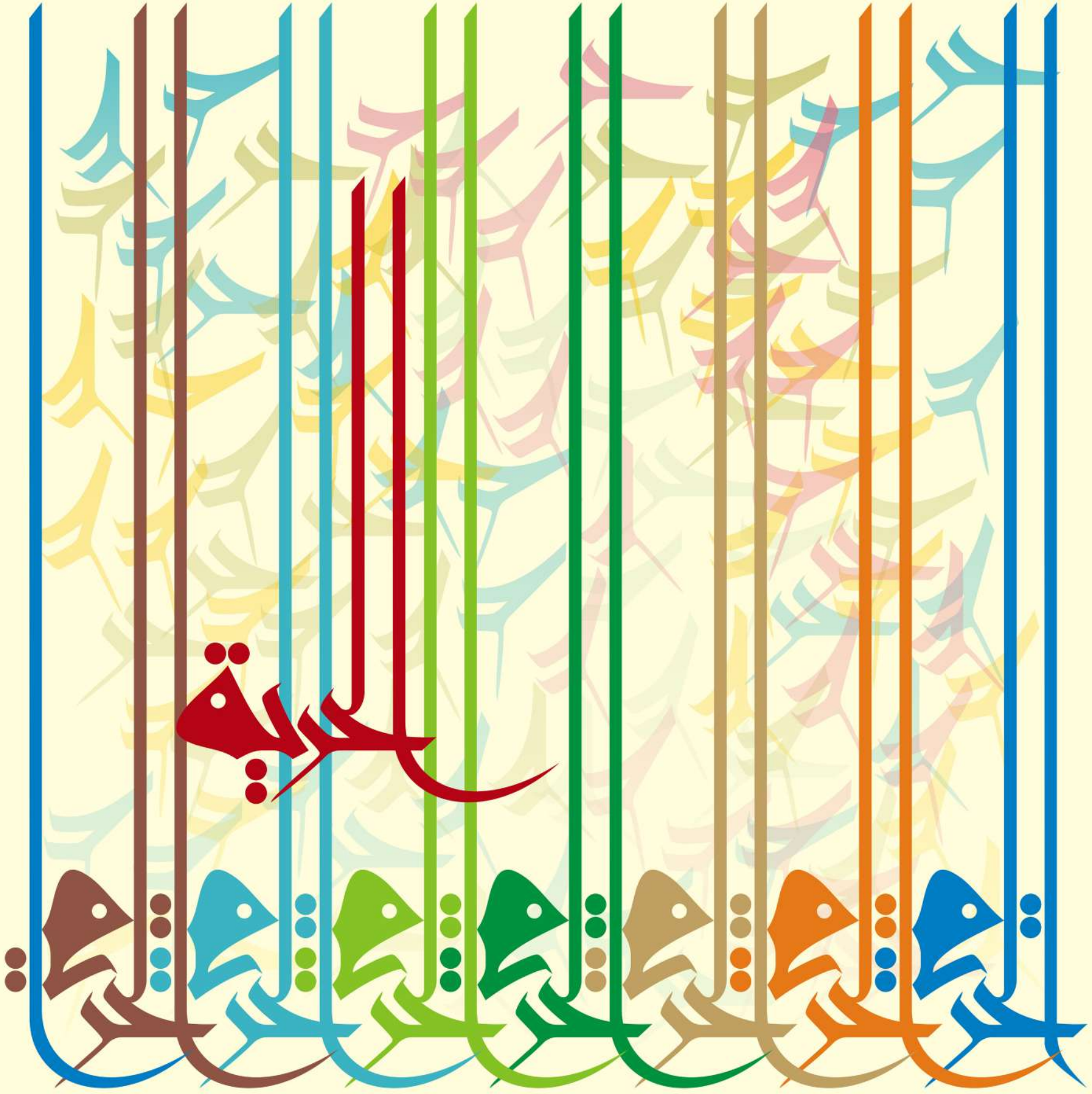

لوحة الحرية للفنان الخطاط محمد عماد محوك

أماه.. فلنذهب إلى الجنة

محمد بتش مسعود

مرّت أشهر وأزيز الطائرات لا يتوقّف، لقد عكّروا الجوّ موتاً، قال أخي الأصغر: «لم يبق في بيتنا حطب يا أمّي»، كانت وجنتاه تكسوهما حمرة شاحبة، «بقيتْ جذوة واحدة يا صغيري، نتدفّأ الليلة، وغداً يفرجها ربك»، أجابته أمّي والطّين يملأ أصابعها المشققتين منذ سنين.

منذ وفاة والدي لم تطأ قدماي المدرسة، فليس لأمّي وأخي من يهتمّ بهما غيري، وكان أخي الأصغر باستمرار يسأل ببراءة: «متى يعود والدي؟»، وتقول أمّي: «لقد ذهب إلى الجنة، ليستريح».

كنتُ متعباً، مرهقاً، مشتّتة أفكاري، كيف لنا أن ننام وبراميل الموت تُقذفُ علينا كلّ لحظة وحين؟، عنّفني ربّ عملي هذا اليوم، لقد أشبعني إذلالاً وتعنيفاً لأنني تأخّرت.

كان أجري زهيداً بالكاد يكفي لشراء الرّغيف، التعب هو أجري الكامل، كنّا نفرغ السّلع ونرتّبها في محلاّته يومياً، فهو تاجر معروف.

عندما كنتُ أعمل، تعثّرت قدمي، تبعثرتْ أطرافي، ارتطمتْ علبة الصّحون بالأرض، يارب ستترك، لقد تكسّرت جميعها، قال ربّ عملي وكلّه حنق وشدّة: «يا كلب.. يعطيك العمى، أنت مطرود، عدْ إلى أمّك واعجن لها الطين».

تبعْتُهُ إلى مكتبه، أخرج سجلا وآلةً حاسبة، مدّ يده إلى خزنته وأخرج بعض المال، عدّه وسلمني إيّاه، كان ناقصاً، وحين استفسرته عن السبب قال: «علبة الصحون المكسورة، من يسدّد ثمنها؟»، بلعتُ ريقي الجاف، دعوتُ الله عليه ودعوتُ، ومازلت!.

مسكينةٌ هيّ أمّي، لم تتمالك نفسها حين أخبرتها بالأمر، كان دعاؤها الطويل العريض عليه وهي تتفحّص قلل الطين لتتأكد من سلامتها، بعد يومين ستطوف وأخي الأصغر البلدة المجاورة، علّها تبيع بعضاً من القلل.

أزيز الطائرات ازداد حدّةً هذا اليوم، وكانت البراميل تهوي، ودويّها في الأرجاء مسموع، جاء جاري مسرعاً والخوف في عينيه، البلدة المجاورة دكّها القصف، «يارب!»، جفّ حلقي، تسمّرتُ في مكاني، «أمّي وأخي ذهبا اليوم لبيع القلل»، كنتُ أبكي كطفل صغير، «يارب أعدهما سالمين»، هرولتُ كالمجنون تائهاً في البلدة المجاورة، كنتُ أسألُ كلّ من أصادفه عن امرأة وطفل صغير معهما قلل طين، لكن لا أحد تذكّرَ أنّه رآهما، وكانت دعواتي لربّي تزداد وتزداد.

حلّ المساء، عُدتُ وما معي سوى عبراتي وخيبات آمالي، «لقد ضاع كلّ شيء»، تمنّيتُ لو لحقتُ بأبي وأمّي وأخي، كيف لي أن أنام وليس في البيت سواي؟، كانت أطول ليلة في حياتي.

قبيل الفجر غفوتُ بعض الشيء، أيقظتني طرقات على الباب، خرجتُ مرعوباً، لم أصدّق ما رأتهُ عيناي، رحتُ أقبّلُ أمّي وأعانقها، حملتُ أخي على ظهري ودخلنا، حمدت اللّه وسجدت شاكراً، غلبتني الدّموع، قالت أمّي: «كنّا في بلدة أخرى، لحسن الحظ لم يمسّنا الموت هذه المرّة!».

قالت أمّي: «مرّ زمن ولم نزُرْ جدّك المريض، سنزوره اليوم إن شاء اللّه»، عند عودتنا كان الدّخان يملأ البلدة، إنّها البراميل، لقد دكّها القصف، بقايا المنزل يعلوها دخان مغبر، وبين الأنقاض محفظتي وبعض الكراريس وأوراق شجرة السنديان، «لم يبق لنا شيء، ليس عندنا طعام ولا شراب، ليس عندنا بيت ولا وطن، من لنا يارب سواك».

بكى أخي الصّغير وقال: «اشتقت لأبي يا أمّي، متي سيعود؟، أمّاه فلنذهب إلى الجنّة حيث نلقى أبي»، حملتهُ على ظهري وعدنا أدراجنا إلى بيت جدي، ويا ليت يكون عودنا أحمد.

SNP زيتون عضو الشبكة السورية للإعلام المطبوع